نظام الحكم الأصلح

كمال يوسف جميل

مكتبة جزيرة الورد

حقوق الطبع محفوظة

مكتبة جزيرة الورد
اسم الكتاب : نظام الحكم الأصلح
المؤلف : كمال يوسف جميل
رقم الإيداع :

الطبعة الأولى 2017

مكتبة جزيرة الورد
القاهرة : ٤ ميدان حليم خلف بنك فيصل
ش ٢٦ يوليو من ميدان الأوبرا ت : ٠١٠٠٠٤٠٤٦ ـ ٢٧٨٧٧٥٧٤
Tokoboko_5@yahoo.com

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

مع تأكيدات القرآن المتكررة على نظام الحساب الفردي للناس يوم القيامة ، إلا أنه أيضا يؤكد على أن من بين مكونات الحساب الفردي شكل ومضمون تعامل الفرد في إطار الجماعة والجماعات فيما بينها.

يكاد أن يجمع المؤمنون برسالة الإسلام الخاتمة على أنها نظام كامل للعبادات والمعاملات والعلم والسياسة والاقتصاد والاجتماع ..، بتفاصيل عن مستويات المأمور به والمنهي عنه والحلال والحرام والمكروه والمندوب والمباح ، والأوقات والمقادير .. وغير ذلك مما يشمل كل جوانب حياة الإنسان ومماته وبعثه وحسابه .. ، وفي هذه الحالة يفترض أن يكون على رأس أولوياته نظام للإدارة والحكم والرقابة بتفاصيل وقدرات تتناسب مع كل هذه المتغيرات والمتطلبات، وعلى رأس هذه الأولويات التحديد الدقيق لمن يتولى هذه المسئولية وبقوة إلزام يتجاوز مستواها قوة إلزام كل المكونات الأخرى ، وبذلك يكون هذا النظام للإدارة والحكم كرأس القاطرة أو الشاحنة يجر ويتحكم في كل تلك المكونات ،و إذا غاب هذا الرأس أو تعطل في القاطرة أو الشاحنة أو انحرف عن مساره ، ستتعطل أو تنحرف عن مسارها كل تلك المكونات ، وإذا تم التحكم في هذا الرأس أو اختطافه ، كما هي الحال اليوم ،فمصير القاطرة أو الشاحنة ، وما ومن تحمل ومن في الطريق ، سيكون بيد من يتحكم فيه أو من اختطفه !، وإذا تمسكنا بقدسية الرسالة الخاتمة وكمالها ، وبمصداقية : ما فرطنا في الكتاب من شيء ، وإذا استبعدنا نظرية المؤامرة ، فعلينا أن نتساءل :أين هو هذا النظام ؟ ولماذا كل هذا الغموض والخلاف حوله ؟ .. ، ونحن نعلم : ﴿ قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا

جَمِيعًا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [طه] ، وأن من يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فإن الله شديد العقاب ، ونحن نعاني ونسمع ونرى أشكال وألوان من الضلال والشقاء وضنك العيش والعقوبات التي تنصب علينا، مما يشير إلى الإعراض عن ذكر الله ونسيان آياته بدلا عن التمسك بها بقوة: ﴿ يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ ۖ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ ﴾ [مريم] ، ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [البقرة] ، ولم يكن في مقدور المسلمين أخذ ما في كتاب الله مما يخص نظام الحكم والتعامل مع الخلاف في الإسلام بقوة بعد الانقلاب الأموي والدكتاتوريات الإسلامية حتى اليوم ، مما أضعف أو أزال الأبحاث والدراسات الجادة عن نظام الحكم الحقيقي في الإسلام ، وللاستعاضة عن عدم وجود مراجع بمستوى قدرات العصر لتلبية حاجات العصر نحتاج لوسائل أخرى : منها ما تكرر ذكره في القرآن عن : الفكر والتفكر ، وذلك لوضع الأساسات والمقدمة لتصميم نظام الحكم في الإسلام ، أما إكمال الهيكل ووضع التصاميم الكاملة المفصلة للنظام فقد يحتاج إلى تكاتف وتكامل جهود جماعات من صفوة أصحاب القدرات العملية والعلمية المميزة في مختلف فروع المعرفة والتخصصات .

في مطلع العام 2013 م كتبت ونشرت كتيب بعنوان : « نظام الحكم في دول الربيع العربي الإسلامي » ، وهو محاولة لتصميم نظام للحكم يتأسس على مفهوم الشورى الإسلامي ، ولكن أكدت الأحداث فيدول الربيع العربي أن الدكتاتوريات العربية والإسلامية هي أحد الأعراض لأمراض وسلبيات أخرى في هذه المجتمعات ، وأن حاجة هذه المُجتمعات تتجاوز طرح أنظمة حُكم بديلة فقط ، ولكنها تحتاج مع ذلك ، أو قبل ذلك ، إلى مراجعة شاملة عن مكونات

رسالة الإسلام الخاتمة ونظام الحكم فيها ، و إلي أبحاث و دراسات وحوارات فكرية موسعة عن احتياجات الأفراد والجماعات ، وعن الدولة وأهدافها وتطورها وأنظمة الحُكم وطبائع البشر والتعامل مع الخلاف ... ، ومن ثم يمكن أن تسعى المجتمعات والطوائف والفرق .. الإسلامية للفهم والتصالح مع إسلامها وأنفسها وتاريخها وحاضرها ومستقبلها والبشرية جمعا ،و للمساهمة في ذلك سنحاول الإجابةعن :

ما هي طبيعة وخصائص نظام الحكم في فترة الرسول محمد ﷺ ؟

ما هي طبيعة وخصائص نظام الحكم للمسلمين من بعد الرسول محمد ﷺ ؟

و ما هي قوة إلزام المسلمين بإتباع هذا النظام ؟ .

و ما هو المسار التاريخي لتطبيق النظام ؟ .

و هل يصلح في هذا الزمان ؟ .

و لأهمية هذا الموضوع في هذه الأوقات الحرجة ، والتي قد تعنى سبباً لحياة آلاف أو ملايين البشر أو موتهم ، ولعدم جدوى وفشل الحلول المطروحة وشعارات : الوسطية والاعتدال ونبذ العنف والتطرف والإرهاب .. ، لذلك قد يحتاج المسلمون لشق طرق جديدة وابتكار وسائل ومرجعيات أخرى للعلماء والمفكرين لإعادة توجيه مسارهم الفكري ليلبي حاجات المسلمين والإنسانية الحالية ، وفي مراحلها التالية .

و بما أن الخلاف والتنازع هي المولود الطبيعي لحرية وإرادة وكرامة الإنسان، ومن خصائصه وصفاته اللاصقة ، وأن هذا المجهود موجه لمختلف طوائف وفرق المسلمين ، سيكون القرآن الكريم هو مرجعيته الأساسية لاتفاق المسلمين عليه ، ولن تكون هذه المرجعية وسيلة لدعم أو تبرير وجهات نظر أو مواقف مسبقة ، مما يحصر الخلافات الموضوعية في أضيق نطاق.

من أهداف هذا المجهود : المساهمة مع آخرين في شق طرق أو حفر أنفاق في محاولة لربط وعبور الفكر الإسلامي ما بين خلق الإنسان ونزوله إلى الأرض ورسالة الإسلام الخاتمة وهذا العصر مع مرحلة أن تأخذ الأرض زخرفها وتتزين.

تقتصر محاولاتنا على الجانب النظري فقط ،مما يجنبنا سلبيات ومزالق الخلط بين الفكر والعمل السياسي ، ويفتح أبواب المناقشة والحوار والمراجعة والتراجع للجميع بيسر وعافية ، ويحتاج التعامل مع هذه المسائل الخلافية للالتزام الصارم بما أمر به الله سبحانه وتعالى : ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ ﴿٢٤﴾﴾ [الحج] ، و ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾﴾ [الأحزاب] ، و ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر] .

بعد المقدمة : الباب الأول : المشروع الإنساني ، الباب الثاني : ختم الرسالات السماوية، والباب الثالث : نظام الحكم في الإسلام ، والباب الرابع : الخلافة الراشدة ، والباب الخامس : الإطار ، والباب السادس : تصميم نظام الحكم الأصلح،ثم الخاتمة والفهرس .

تغير عنوان هذا الكتاب عدة مرات ، ولكن قد يكون العنوان الأنسب : « نظام الحكم الأصلح »لأن نظام الحكم الحقيقي في الإسلام هو كذلك .

و السلام عليكم

كمال يوسف جميل

27/ 8/ 2017 م

نظام
الحكم
الأصلح

الباب الأول

المشروع الإنساني

القرآن :

القرآن هو المرجعية الأساسية المتفق عليها للمؤمنين برسالة الإسلام الخاتمة، وهو مرجعيتنا الأساسية في هذا المجهود ، وعن بعض مما جاء في القرآن عن القرآن :

﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١ ﴾ [الفرقان] .

﴿ الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١ ﴾ [هود] .

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢ ﴾ [يوسف] .

﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٢٩ ﴾ [ص].

﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ۝٢١ ﴾ [الحشر] .

﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ۝٣١ ﴾ [الرعد] .

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [المائدة:48] .

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩ ﴾ [الحجر] .

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝١٧ ﴾ [القمر] .

﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ۝١٠٩ ﴾ [الكهف] ، ويمكن تقدير كمية المداد اللازمة لكتابة المصحف وأعداد الأوراق والمصاحف التي يمكن كتابتها بكمية مداد بضعف ماء البحر ، وهي أعداد مهولة

يحتاج تصفحها أو عدها لحياة أعداد كبيرة من البشر ، ومما يشير إليه ذلك : الاختصار والتركيز على المسائل والجوانب شديدة الأهمية مما لا يمكن تجاوزه أو إغفاله، مما يرفع من أهمية كل كلمة أو حرف بما يناظر نسبة المداد السابقة .

﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ ﴾ [النساء] ، الله سبحانه وتعالى لا يحتاج إلى شهادة الملائكة ، لكن قد يكون في ذلك شكل من التوثيق والتعلم ليتبعه الإنسان .

﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الأنعام] .

و مما جاء في القرآن عن القرآن أنه عربي مبين وميسر .. ، وهو المصدر الأول للمعلومات عن الله سبحانه وتعالى والمشروع الإنساني والمسيرة البشرية وطبائع وخصائص الإنسان والقوانين التي تحكمه.

و من الآيات التي تفيدنا فيما نحن فيه : ﴿ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ ﴾ [التكوير]، و﴿ الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ ﴾ [هود] ، وما جاء فيه من تفاصيل عن الله سبحانه وتعالى والمشروع الإنساني والمسلمين واليهود وماضي ومستقبل المسيرة البشرية .. .

الله سبحان وتعالى :

بعض مما جاء في القرآن عن الله سبحانه وتعالى :

﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر] .

﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [يونس] .

﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنعام] .

﴿ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُمْ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ ﴾ [هود] .

﴿ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا۟ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾ ﴾ [الأنعام] .

﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأنبياء] .

﴿ ۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ ﴾ [البقرة] .

﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾ ﴾ [آل عمران].

﴿ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [غافر] .

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾

[الإسراء] .

﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزمر] .

﴿ قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [الأنعام] .

﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر].

﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ ﴾ [البقرة] .

﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ [الحج:47].

﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف] ، في هذه الآية شهادة بشرية على وجود الله سبحانه وتعالى ، يمكن أن تخضع للإجراءات المتعارف عليها في المحاكم للتأكد من مصداقيتها ، وبما أن القرآن أيضا وحي ، فإنه يمكن البحث في مصداقيته وإعجازه ، ويعتمد قبول الشهادة أو رفضها على النتيجة ،و في هذا العصر ظهر ما يؤكد علميا على مصداقيته وإعجازه وأنه فوق قدرات البشر ،إلا أن ذلك لا يتعارض مع حرية الإنسان في من شاء فا ليؤمن ومن شاء فليكفر .

و نفخ الله سبحانه وتعالى من روحه في الإنسان ، وقد يعني ذلك منحه بعض من هذه الصفات ، مثل العقل المميز وبعض من قدرات الخلق والإبداع في بعض المجالات والحرية والإرادة والخلود النسبي .

الله سبحانه وتعالى خالق ومالك كل شيء ، ويفعل ما يريد ، ولو شاء الله لما

اقتتلوا ، ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون، ومع كمال قدرة الله سبحانه وتعالى وحريته وإرادته .. ، وتأكيدا على تأسيس كل ما في هذا الكون على النظام والدقة .. ، فقد أكد الله سبحانه وتعالى بأنه على صراط مستقيم ، وأنه كتب على نفسه الرحمة والعدل .. ، وقد يأذن بالشفاعة لمن يشاء ..و هو لطيف بتدبيره لما يشاء كما جاء في نهايات سورة يوسف عليه السلام .

المشروع الإنساني :

جاء في القرآن الكريم عن خلق الإنسان والسموات والأرض والملائكة والجن والشياطين والدواب ، وغيرهم .. وما لا نعلم ، وإذا جاز التعبير كلها مشاريع من خلق الله عز وجل -- ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الأنعام] ، وقد تدعو الحاجة لمعرفة ما نستطيع عن المشروع الإنساني ومكوناته وخصائصه و النظم والقوانين التي تحكمه وعلاقته بالمشاريع الأخرى ، وماضي وحاضر ومستقبل المسيرة البشرية ، ومالك وخالق الكون .

﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الذاريات] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ ﴾ [الحج] .

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [المؤمنون] .

﴿ مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن

تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُۖ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَٱلۡحَقُّ وَٱلۡحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [ص] .

﴿ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الإسراء] .

﴿ وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الحجر] .

و قد يكون مما خص به الله سبحانه وتعالى الإنسان ، الذي كرمه ونفخ فيه من روحه وفضله على كثير ممن خلق : مستوى العقل المميز المبدع الخلاق ، والحرية والإرادة والخلود النسبي ، ما دامت السموات والأرض ..، ومن ذلك ﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَتَقَدَّمَ أَوۡ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [المدثر] ، وإن كان في ذلك ما يثبت حرية وإرادة للإنسان ، إلا أنها مقيدة : ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ ﴾ [الإنسان] ، وقد يجد البعض من الآيتين الكريمتين ما قد يشير بطرف خفي إلى ما يشبه تناسب إرادة الإنسان إلى إرادة الله سبحانه وتعالى وبعلم الإنسان وحكمته إلى علم الله سبحانه وتعالى وحكمته، وقد تكون على نفس هذه المقارنة الافتراضية ، وتعالى الله علوا كبيرا ، أن يكون خلود الإنسان المرتبط بدوام السموات والأرض، منسوبا إلى خلود الله سبحانه وتعالى المطلق .

﴿ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [يونس] . والإكراه هنا للإيمان بالله سبحانه وتعالى ، وقد يكون الإكراه مجرد الدعوة ببعض التكرار أو الإلحاح ،لأن الرسول محمد ﷺ لا يملك في ذلك الوقت قوة وأدوات لإجبار الناس على فعل ما يريدون ،و لذلك قد يكون ما جاء في

هذه الآية الكريمة يتضمن أقوى الإشارات على المستوى العالي لأهمية الالتزام الكامل والشامل والمقدس بحرية وكرامة الإنسان أو الحدود المحرمة التي لا يسمح الله سبحانه وتعالى لأي من خلقه بالتفريط فيها أو تجاوزها، وقد يمكننا الاستنباط من ذلك : أن حرية وإرادة وكرامة الإنسان من أهم الأساسات واللبنات التي ينبني عليها المشروع الإنساني ، وتميزه عمن سواه مما خلق الله سبحانه وتعالى ، والله أعلم .

بدأ المشروع الإنساني بخلق آدم ومنه زوجه ، وبدأت حياتهم في الجنة ثم انتقلوا إلى الأرض حيث توفاهم الله ، أما ذريتهم فقد كانت لهم حياة سابقة من ظهورهم حيث أشهدهم الله بأنه ربهم ، ثم ماتوا الموتة الأولى ، ثم يبعثهم الله لحياتهم الدنيا بميلادهم على الأرض ليعيشوا في كبد وحزن ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾ ﴾ [البلد] ، ﴿ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [فاطر] ، لحين موتهم الثاني ، ﴿ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ﴾ [غافر]، ويبعثهم الله للمرة الأخيرة لحسابهم وثوابهم وعقابهم ودخولهم الجنة أو النار ، ليعيشوا حياتهم الآخرة ، ﴿ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [ق] ، ﴿ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [هود] .

آدم عليه السلام :

﴿ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا

بِغُرُورٍۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الأعراف] .

﴿ وَلَقَدۡ عَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبۡلُ فَنَسِيَ وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡمٗا ﴿١١٥﴾ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوّٞ لَّكَ وَلِزَوۡجِكَ فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعۡرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظۡمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضۡحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسۡوَسَ إِلَيۡهِ ٱلشَّيۡطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنۡهَا فَبَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ﴾ [طه] ، ومع مواصفات الجنة المعلومة للذين آمنوا ، وهي أعلى طموحاتهم في الدار الآخرة وحياتهم الأبدية ، إلا أن الشيطان أغواه وأطمعه فيما صوره له بأنه أعظم منها ، وهو شجرة الخلد والملك الذي لا يبلى ، وبذلك تسببت أوهام شجرة الخلد والملك الذي لا يبلى في انقياد آدم وزوجه لإبليس وخروجه من الجنة وعصيان أمر ربه الذي خلقه وأكرمه وسواه بيده ونفخ فيه من روحه وحذره من عدوه .. ، وهذه الحالة التي قد نحسبها شديدة الانحراف والغرابة هي طبيعة وجبلة الإنسان التي خلقه الله عليها، وعلى ذلك يمكن تصور سلوك من هم دون هذا المستوى من الإيمان وتعاملهم مع مصالح الآخرين !! فما أعذر أبو البشر ورسول الله آدم لأبنائه وأسرته من بعده في كل ما يفعلون ويتركون ، وما أهون أمر ذريته من بعده عند شياطين الإنس والجن وأتباعهم ،و ما زالت هذه هي مكونات ومواصفات وخصائص الإنسان التي علينا التعامل معها في استنباط مكونات نظام الحكم في الإسلام ، والله يفعل ما يريد .

الطين والصلصال والحمأ المسنون من مكونات الأرض ، وهي نفس المواد التي خلق الله سبحانه وتعالى منها الإنسان والحيوانات الضارية التي سبقته في الحياة عليها ، وفي ظن الملائكة أن الإنسان ويسفك الدماء كما ما تفعل هي ، ولم

ينف الله سبحانه وتعالى عن الإنسان ذلك ، ولكن ذكرهم بأنه يعلم ما لا يعلمون ، وقد يكون من ذلك ما ادخره الله سبحانه وتعالى من رسالات سماوية ورسل وكتب مقدسة وعلوم للإنسان ليتجنب الفساد في الأرض وسفك دماء .

الإنسان :

عند المسلمين أن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان في أحسن تقويم ، ولم يتطور من مخلوقات أُخرى .

في سورة الإنسان : ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ١ إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ٢ إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا ٣﴾ ، سميعا بصيرا من أسماء الله الحسنة ، وله أن يختار في أن يكون شاكرا أو كفورا.

سواء الله سبحانه وتعالى آدم بيده الكريمة ونفخ فيه من روحه ، وقد يكون من نفخ الله سبحانه وتعالى من روحه في الإنسان منحه العقل المميز وبعض من قدرات الخلق والإبداع في بعض المجالات والحرية والإرادة والخلود النسبي ...، وعن سلالة آدم من بعده فهي :

﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٥ ﴾ [الإسراء] .

﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ٨﴾ [الشمس] .

﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ﴾ [النساء:29] .

﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ وَنَعۡلَمُ مَا تُوَسۡوِسُ بِهِۦ نَفۡسُهُۥۖ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ ١٦﴾ [ق] .

﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ٢٨﴾ [النساء] .

﴿وَلَئِنۡ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةٗ ثُمَّ نَزَعۡنَٰهَا مِنۡهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٞ كَفُورٞ ٩ وَلَئِنۡ

أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ ﴾ [هود] .

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف]، وما جاء في سورة البقرة ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ والحج ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾ ﴾ ، ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ﴾ [الملك] ، وعن الحياة الثانية بعد الموتة الثانية : ﴿ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [ق]، مما قد يفيد بالتباين الكبير في تصورنا لمستوى حياتنا الدنيا مع ما قبلها وبعدها من حياة ، وقد يوجد في بعض مما نجهل من أسرار وفوائد وخفايا النوم والأحلام ما قد يفيد يوما ما في هذا الجانب ،و عن الخلود النسبي : ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [هود]، وكذلك الخلود في النار ، وفي هذا العصر توفر نسبية البرت أنشتاين معلومات عن المادة والطاقة والزمن والسرعة والمسافات الكونية... مما يلقي المزيد من الضوء على الكون والإنسان وخلوده النسبي مما لم يكن متاحا في الماضي، ومع ذلك : ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [لقمان]، و ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [غافر]، و« أكبر » مرتبطة بالمادة والحجم ، ولكنها لا تعني بالضرورة الأكرم والأهم والأخطر والأفضل .. ، والناس تشمل الرجال والنساء ، وقد بدأ الخلق بآدم ثم زوجه ، وكان صراع ابني آدم الدامي بسبب النساء ، ومن البداية ظهر بعض الاختلاف والتباين في بعض خصائص ووظائف الجنسين ، ومع ذلك فقد أنزل الله سبحانه وتعالى في سورة الحجرات : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [الحجرات:13]، وهو ما ينفي ويمنع كل

أشكال التمييز المبني على الجنس والعرق واللون ... ، وهذا لا يتعارض مع جاء من أحكام عن الزواج والميراث ... .

ومن صفات وخصائص الإنسان :

﴿وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ﴾ [النساء:128] .

﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحشر] .

﴿بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [المؤمنون].

﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ [الفرقان] .

و من القوانين التي تتحكم فيه ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾﴾ [العلق]، وقوانين للمعالجات ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ [البقرة:291] ، وقد جعل الله سبحانه وتعالى الإنسان خليفته في الأرض : ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [فاطر: 29] ، وكرم الله سبحانه وتعالى بني آدم وحملهم في البر والبحر و فضلهم على كثير من خلق ه ،و كفل لهم الحقوق والحريات والفكر والتفكر .. ، وعلم الإنسان ما لم يعلم ، وخص بعض الأفراد في المجتمعات الإنسانية بقدرات عقلية مميزة لقيادة التطور والتحديث الدائم وحل الخلافات والتنازعات ، ووفر المقومات والقدرات والأسباب والمعلومات التي يحتاجها الأفراد والجماعات الإنسانية لحياة مفيدة وكريمة وسعيدة على الأرض ، بما يحقق له م الخلافة في الأرض و التكريم والتفضيل ويجنبه م المهانة والإذلال ، ومن وسائل وآليات تحقيق ذلك وتنفيذ المشروع الإنساني : إرسال الله سبحانه وتعالى لبعض من عبادة وخصهم بتبليغ رسالاته وتشريعاته وتعليماته .. ، كما أنزل عليهم الصحف والكتب المقدسة، وحذرهم من كيد الشيطان .

شيطاين الجن والإنس :

﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الأعراف] ، ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيّٖ عَدُوّٗا شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرۡهُمۡ وَمَا يَفۡتَرُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [الأنعام] ، قد يكون الشيطان من الإنس أو الجن ، وهو شيطانا بسلوكه .

﴿ وَإِذۡ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٞ لَّكُمۡۖ فَلَمَّا تَرَٰٓءَتِ ٱلۡفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكُمۡ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوۡنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٤٨﴾ ﴾ [الأنفال] .

﴿ وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٢﴾ ﴾ [إبراهيم] .

﴿ إِنَّ ٱلۡمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخۡوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورٗا ﴿٢٧﴾ ﴾ [الإسراء] .

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ [المائدة] .

﴿ فَلَوۡلَآ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [الأنعام] .

الخلاف :

خلق الله سبحنه وتعالى الإنسان وسواه بيده الكريمة ونفخ فيه من روحه ، والراجح أن ذلك يعني منح الإنسان قدر من الحرية والإرادة المنقوصة والخلود النسبي ، ونحن نعلم أن الله سبحانه وتعالى فعال لما يريد بحرية وإرادة كاملة ، مما يعني وكما نشاهد ، أن لدى الإنسان شكل ومستوى من الحرية والإرادة

المنقوصة ، وكما نعلم أنه إذا تعددت الآلهة لحدث الخلاف بينها مما يعنى أن وجود بعض المقادير من الحرية والإرادة لدى الإنسان تتولد منه مقادير مناظرة من الخلاف والتنازع ، وأن كمال حرية وإرادة الله سبحانه وتعالى يلغي بالضرورة فرضية احتمال وجود اله آخر على نفس المستوى من الحرية والإرادة وذلك لأسباب قد يكون منها : قد يرتفع مستوى الخلاف والتنازع بينهما لمرحلة استحالة تزامن وجود الاثنين معا ، ومن ذلك قد يمكننا إدراك خطورة ما خص الله سبحانه وتعالى به الإنسان من شكل ومستوى من الإرادة والحرية على أمنه وحياته، ما لم تتوفر المعلومات والوسائل الكافية للتعامل مع كل مستويات الخلاف والتنازع .

بدأ الخلاف مع بدايات حياة ابني آدم على الأرض ، و جاء في القرآن عن الخلاف في الأنعام (164) ، يونس (19) و(93) ، وفي سورة هود : ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾ ، وقد تكون « لذلك خلقهم » في هذه الحالة مرادفة إلى « كذلك خلقهم » أو غير ذلك ، وعلى كل حال ، فإن رسالة الإسلام الخاتمة قد أولت الخلاف والتنازع كخاصية أو صفة وحالة دائمة وملازمة للأفراد والجماعات الإنسانية ، حظه الوافي من الأهمية كمولود طبيعي لحرية وإرادة وكرامة الإنسان التي يجب عدم التفريط فيها .

كانت الرسالات السماوية الأولى مقيدة بالزمان والمكان والقوم ، وكان الارتباط بين المحاور محددا وجامدا ، واستمرت استحالة التعايش السلمي بسبب الخلاف والتنازع بين المؤمنين وغير المؤمنين في الرسالات السماوية إلى ما قبل رسالة إبراهيم ﷺ ، وبعد ذلك بدأت المرونة في عوامل الزمان والمكان والقوم في الرسالات السماوية الخاصة ببني إسرائيل ، وبدأ التعايش السلمي الهش مع الخلاف بين المؤمنين وغير المؤمنين كما حدث في مصر .

الأرض :

الأرض هي أحد كواكب المجموعة الشمسية ، وفي هذا العصر توفرت الكثير من المعلومات عن المجرات والنجوم والكواكب والمسافات التي تفصل بينها .

﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الأنبياء] .

﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ ﴾ [البقرة] .

﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [البقرة] .

﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [الأعراف].

﴿ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ ﴾ [طه] .

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [البقرة].

خلافة الإنسان على الأرض :

و لو لا أن الأرض تتمتع بمزايا خاصة في هذا الكون الواسع لما صلحت لحياة الإنسان ولما احتاجت لخليفة ، ولقد أعد الله سبحانه وتعالى الإنسان بطريقة مميزة وعلى صورته ليكون خليفته على هذا الكوكب المميز ، كما أن على الخليفة والوكيل : رعايتها وصيانتها وحفظها مما يفسدها ويشينها ، وعمل ما يزينها ويزخرفها ويجملها ، وكانت قدرات الإنسان للقيام ببعض من ذلك محدودة في الماضي ! ولكن صاحب المشروع الإنساني يعلم بأن مسيرة الإنسان ستقوده لتحقيق ذلك في المستقبل وفق خارطة طريق سبق إعدادها ، وفي العصور الأخيرة بدأت تظهر علامات ومؤشرات على تطور في قدرات الإنسان تمكنه من التأثير

السلبي على مستوى الكرة الأرضية بتلوث الجو والأرض والمياه بالكيماويات والغازات والمواد المشعة وغير ذلك ، وستتطور قدرات الإنسان في العقود القادمة مما يمكنه من الزيادة في كل ذلك أو معالجته ، مما يؤدي لتقدير مستوى نجاحه في القيام بأمر الخلافة على الأرض في هذا الجانب ، وسيتواصل هذا الأمر حتى يكتمل عندما تأخذ الأرض زخرفها وتتزين ويظن أهلها أنهم قادرون عليها ، وبعد ذلك تكون نهاية حياة الإنسان على الأرض ، بسبب عجزه عن الاستمرار في القيام بأمر الخلافة ، أو لغير ذلك.

بافتراض تقديرات لمستوى تطور فعالية خلافة الإنسان على الأرض من بداية نزوله عليها وحتى نهاية حياته عليها وعمل رسوم بيانية لذلك ، نجد أنها بدأت من الصفر ، واستمرت فيما يقارب الصفر لآلاف السنين ، وارتفعت النسبة في القرون القليلة الماضية ، وهي في طريقها للمزيد من الارتفاع بعجلة شديدة التسارع في العقود القادمة ،و بما يناظر ذلك مع الرسالات السماوية وتعداد البشر ، نجد أن الجزء الأكبر من ذلك يحدث خلال رسالة الإسلام الخاتمة .

الإصلاح والفساد في الأرض

قد يكون المقصود ب « الأرض » هنا كل كوكب الأرض أو جزء منه ، تسكنه أعداد من البشر ، ونحتاج لتمييز ما هو إصلاح في الأرض أو فساد فيها عما هو دونه من أفعال الخير أو الشر ، وما يكون تأثيره على مستوى الكليات مثل المشروع الإنساني والمسيرة البشرية . . .

مما يؤدي للإصلاح في الأرض : الرسالات السماوية والعلوم والأعمال التي تساعد على استمرار وتطور حياة الإنسان وغيره من المخلوقات على الأرض ، والفساد فيها : كل ما هو نقيض للإصلاح، والتجاهل أو التلاعب بمكونات رسالة الإسلام الخاتمة .

آدم عليه السلام في الأرض :

﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ ﴾ [البقرة].

آدم عليه السلام وزوجه هما أول سكان الأرض من البشر ، وهو أول رسل الله، ورسالته لأبنائه ، ومن خصائص رسالته استمرار الإشراف الإلهي شبه المباشر وفض المنازعات على طريقة تقديم القربان وقبوله أو رفضه .

ابني آدم :

﴿ ۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ ۚ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ ۛ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [المائدة].

من الآيات (27) إلى (30) : إصرار قابيل على قتل هابيل مع علمه بأن قربانه مرفوض وحجته داحضة ، ومع أن جريمته يمكن تصنيفها اليوم بأنها جريمة قتل ، إلا أنها في ذاك الزمان وتلك الظروف يمكن تصنيفها بأنها فساد في الأرض لارتفاع النسبة المئوية للقتلى بالنسبة لتعداد الأنفس ، وقد يكون ابني آدم خارج نطاق قانون دفع الله الناس بعضهم ببعض حتى لا تفسد الأرض ، لأن المقاومة والدفع في هذه الحالة قد ينتهي بقتل الشقيقين أو إعاقتهما معا .. أو ما يشبه ذلك مما قد يؤدي لتعطيل المشروع الإنساني والمسيرة البشرية أو الانحراف بمساراتهما ، وأصبح قابيل من الخاسرين لفقده الشقيق الذي يشاركه تحمل أعباء الحياة في

تلك الظروف الصعبة ، ولكنه لم يندم إلا من بعد أن عرف بأن الغراب أكثر معرفة منه وخبرة ، ومن الآية (31) : يشير بعث الغراب ليريه دفن جثمان شقيقه المقتول بجهله بكيفية التعامل مع جسد الإنسان الميت ، مما يعني بالضرورة أنه لم يسبق لهما التعامل مع جسد إنسان ميت ، مما يؤكد على أنه وشقيقه أبناء آدم على الحقيقية وليس أحفاده ولا على المجاز ، كما أن ما حدث يشير إلى أنهما من نفس طبيعة الإنسان المعروفة اليوم ، وعندما حدث الخلاف بين الشقيقين لمعرفة حكم الله سبحانه وتعالى فيما تنازعا عليه ، مما يشير إلى عدم وجود مرجعية أو نظام متفق عليه ،تم الاتفاق على تقديم القربان كوسيلة لمعرفة حكم الله ، وذلك بقبول القربان أو رفضه ، وقد قدم كل منهما قربانه بالكيفية المعروفة لديهما والمتفق عليها ، وأما قبول القربان أو رفضه فهو المعجزة والتدخل الإلهي المباشر أو شبه المباشر ، والتي تؤكد على حكم الله سبحنه وتعالى ودينه وشريعته ، وهو المرجعية الدينية لهما وهو حكم الله وشريعته ، وعلى ذلك يكون تعاملهما على مستوى معجزة تقديم القربان وقبوله أو رفضه والتلقي شبه المباشر من الله سبحانه وتعالى هو شكل ومستوى الدين لهما كأمة ، أما التزام الشقيقين بتنفيذ أمر الله سبحانه وتعالى من عدمه فهو مستوى التدين عند الشقيقين ، أما ما جاء في الآية (32) : فقد تكون المساواة في التصنيف والتقييم بين قتل النفس عند بني إسرائيل مع قتل النفس عند ابني آدم ، بأنها كقتل الناس جميعا ، قد يشير إلى مستوى الأحكام والردع الذي يحتاجه بني إسرائيل .

من هذه البدايات الأولى لحياة الإنسان على الأرض ظهرت بعض ملامح وخصائص الإنسان والمشروع الإنساني والمسيرة البشرية على الأرض ، وقد يتحجج البعض ببدائية الإنسانية في حالة ابني آدم في ذاك الزمان ، ولكن هذه الحجة مردودة على حملة الرسالة الخاتمة ، لأنهم يعلمون بأن الله خلق الإنسان في أحسن تقويم ، وبما أن الله سبحانه وتعالى قد منح العلم للشقيق القاتل ، مما قد

يشير إلى أن العلم منحة من الله سبحانه وتعالى لمن يشاء من البشر ، لأسباب منها ما قد نعلمه ومنها ما قد يكون من وسائل وآليات المشروع الإنساني ، ومنها ما قد ينفرد الله سبحانه وتعالى بعلمه .

مما جرى بين ابني آدم ،يمكننا القول بأن أعلى مستويات الإيمان بالله ورسوله لا تكفي لتقويم السلوك وتحقيق الأمن .

بأسباب ما حدث بين ابني آدم واحتمالات تكراره ، يرجح أن تكون الخلافات الدموية هي سبب حركة النزوح والهروب الدائمة للأفراد والأسر ، والتي قد تفسر انتشار البشر في كل بقاع الأرض عندما كانت اليابسة شبه متصلة.

بما تقدم عن ابني آدم يمكننا القول بوجود جانبين أو محورين:

محور الدين والتدين : ويحتوى الدين على المرجعية والمعجزة ، والمرجعية في هذه الحالة هي مكونات رسالة رسول الله آدم عليه السلام ، والتي منها زواج الأخ بغير توأمته ، وتعتمد على الحالة الاجتماعية والمستوى العلمي والمدني والحضاري والمرحلة في المسيرة البشرية .. وغير ذلك ، والمعجزة هي تقديم القربان وقبوله أو رفضه وهو مادياً بالكامل ، أو شبه ذلك ، ويعتمد على الحواس وخاصة البصر ، والتدين هو مستوى الالتزام بتنفيذ التعاليم الدينية ، وأن القتل هو وسيلة الحل الوحيدة لمشكلة الخلاف والنزاع عند من لم يُتقبل قربانه ، وقد يكون من منطق وحسابات هابيل : أنه من الاحتمالات الراجحة لما قد ينتج عن هذا الصراع : موتهما معا ، أو موت أحدهما وإصابة الآخر بإصابات قاتلة ، أو ما شابه ذلك ، ولذلك قد يجد في كل الحالات أنه من الأفضل له في دينه وللأسرة أن يضحي بنفسه.

محور العلم والتعلم : وهو قتل غراب لآخر ودفنه وهو أيضا مادي بالكامل ، أو شبه ذلك ، ويعتمد على الحواس وخاصة البصر ، وأن العلم منحة من الله للصالحين ولغير الصالحين .

محور العلم والتعلم :

العلم : المعرفة ، والتعلم : معرفة مصادرها ووسائل اكتسابها .

﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [البقرة].

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [فاطر] ، ومن ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾ يكون محور العلم والتعلم أحد أهم العوامل التي تتحكم في مستوى معرفة مقاصد الدين ومستوى التدين.

و قد تطور العلم ووسائل اكتسابه وحفظه ونشرة مع تطور المسيرة البشرية من مرحلة اعتمادها على الحواس حتى إلى ما صارت إليه في هذا العصر ،و قد يمكننا القول بأن جانب العلم والتعلم هو الأساس الذي تقوم عليه حياة الإنسان المادية وتطورها على الأرض ، ويتكامل عندهم مع محور الدين والتدين وتطوره، ومع ذلك : ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾ ﴾ [آل عمران] ، مما يعني أن العلم بغير مناهج وضوابط قد تكون له نتائج سالبة .

***

محور الدين والتدين :

الدين هو ما أنزله الله سبحانه وتعالى على الإنسانية من رسل ورسالات سماوية لعبادته وتقويم مسارهم.

الدين : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الذاريات] ، ﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [البقرة] ، ﴿ إِنَّا هَدَيْنَـٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ ﴾ [الإنسان] .

التدين : هو مستوى معرفة والتزام الفرد والجماعة بتطبيق التعاليم الدينية : ﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ ﴾ [النور] ، ﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾ [آل عمران] ، وفي بعض الحالات : ﴿ قَالُوٓا۟ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ ﴾ [الأعراف] ،قد يمنح الله سبحانه وتعالى بعض من عباده حرية الاختيار والقدرة على التنفيذ لينظر كيف يعملون ، وقد يكون هذا الأمر عام لكل بني آدم ومن خصائص المشروع الإنساني ، وقد يكون في ذلك بعض ما يفسر إرسال الرسل لبعض الأقوام دون آخرين ... .

﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الكهف] ، ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَـَٔامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [يونس] ، للإنسان البالغ الراشد الحرية في دخول الإسلام أو رفضه ، ولا خلاف يذكر بين المسلمين في حرية اختيار الإنسان بين الإيمان والكفر ، ولكن توجد خلافات كبيرة وهامة ، ولها ما يبررها ، في تعامل المسلمين مع من يخرج أو يتراجع عن دينه أو يرتد أو يبدل دينه، والتعامل الإيجابي مع مثل هذه الحالة يحتاج للتكامل الديني والعلمي .

الارتباط بين محور الدين والتدين مع العلم والتعلم :

تختلف المعجزة عن المرجعية في كل الرسالات السماوية عدا رسالة الإسلام الخاتمة ، ويتناسب مستوى المعجزة في كل الرسالات السماوية مع مستوى العلم والتعلم حتى في رسالة الإسلام الخاتمة ، وبدأ ظهور الارتباط بين محور الدين والتدين مع محور العلم والتعلم مع بدايات حياة الإنسان على الأرض ، كما جاء في حالة ابني آدم ، ومع أن الإشارة إلي مستوى العلم والتعلم بقتل الغراب ودفنه جاء في تسلسل الأحداث بعد تقديم القربان وما نتج عنه مما قد يؤدي لظن البعض بأن مستوى العلم والتعلم هو المتغير التابع لمستوى الدين والتدين ، إلا أن المتتبع للرسالات السماوية التالية يجدها جميعا تتأسس على مستوى العلم والتعلم، وفي الرسالات السابقة للرسالة الخاتمة كان التغيير يشمل مستويات العلم والتعلم والمعجزة والمرجعية وكان الارتباط بينهما مؤقتا ، وقد بدأ التطور في محور العلم والتعلم من الاعتماد على الحواس خاصة البصر كما في حالة قتل الغراب ودفنه واستمر التطور حتى تأهلت البشرية لرسالة خاتمة كانت معجزتها ومرجعيتها نصوص ومكونات محددة وثابتة ، مما يعني تحديد وثبات محور المعجزة والمرجعية، وفي نفس الوقت تتواصل مسيرة تطور وتغيير محور العلم والتعلم والتي كان يتبعها في الرسالات السابقة تطور مناظر في المعجزة ، وهو ما لن يحدث في الرسالة الخاتمة ما لم تتضمن نصوص ومكونات محور المعجزة والمرجعية قدرات وآليات تؤهلها لتحقيق الارتباط بين محور العلم والتعلم والمعجزة والمرجعية والذي سيكون متحركا مع مستوى التطور في محور العلم والتعلم ، مما يعني بالضرورة أنه بعد أن بلغ مستوى تأهيل وتطور وتأثير محور العلم والتعلم في حياة البشر ما هي عليه الآن والتطورات الكبرى الجارية ، ستحتاج نصوص ومكونات رسالة الإسلام الخاتمة ، حتى تكتمل قدراتها وصلاحيتها وإلزامها ، إلى إعادة بحث ودراسة على أعلى مستوى مستطاع لخصائص وإعجاز هذه المكونات والنصوص لتحقيق الارتباط المتحرك بين

العلم والتعلم والدين والتدين، حتى يرتفع مستوى فهم ومعرفة وتأويل النصوص الدينية و تطبيقها بما يتناسب مع حاجات وقدرات إنسان هذا العصر.

﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [التغابن] ، ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [الأعراف] ، تكليف الله سبحانه وتعالى لعباده بما يتناسب مع سعة أنفسهم ، وتقواه مقيدة بمستوى الاستطاعة ، وبما أن سعة الأنفس والاستطاعة متغيرات ، فكذلك يكون مستوى التكليف والتدين متغير تابع ، مما يستوجب مواصلة البحث والدراسة الدائمة عن مستوى الطاعة المطلوبة بما يتناسب مع الاستطاعة المتوفرة ، وأن مستوى ارتباط محور العلم والتعلم مع محور الدين والتدين هو الذي يشكل مستوى وشكل الطريق الذي يفترض أن يسلكه المؤمنون بربهم وبرسالتهم ، وهو ما قد يمكننا القول بأنه : الصراط المستقيم.

الصراط واستقامته :

الصراط أو السبيل أو الطريق هو :الطريق الذي يسكه من يريد ليبلغه ما يريد ، والطريق المستقيم هو أقصر مسافة تصل بين نقطتين.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [آل عمران] .

﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ ﴾ [مريم] ، وقد تكون سويا هنا مرادفة لمستقيم ، أو تشتمل على جوانب أخرى .

﴿ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُمْ ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ ﴾ [هود] ، ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ۚ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ ﴾ [النحل] .

والله سبحانه وتعالى على صراط مستقيم ، وذلك على مستوى علمه وقدرته

وحكمته ، ولذلك فإن استقامة صراط الله سبحانه وتعالى مطلقة وكاملة ودائمة ، وعلى الإنسان الإيمان بها والانقياد لها ، أما مستوى استقامة صراط الإنسان فهي نسبية مثلها وقدرته وحريته وإرادته وخلوده ..، ولذلك فهي متغير تابع لمستوى ارتباط الدين والتدين مع مستوى العلم والتعلم ، ومع المرحلة التي هو فيها ، وهي التي تتحكم في مستوى الطاعة المطلوبة من الإنسان .

مما جاء عن ابني آدم : أن العلم والتعلم بقتل الغراب ودفنه يعتمد على الحواس وخاصة البصر ، وكذلك الدين والتدين وهو تقديم القربان وقبوله أو رفضه ، وهو يعتمد على الحواس وخاصة البصر ، وعلى ذلك تحدد شكل ومضمون استقامة الطريق ، وعليه قد يمكننا القول بأن شكل ومستوى ومضمون استقامة الطريق يعتمد على شكل ومستوى العلم والتعلم ، وعلى شكل ومستوى الدين والتدين ، وفي هذه الحالة : من تقبل قربانه فهو على الصراط المستقيم ومن لم يتقبل منه لم يكن على الصراط المستقيم ، أما الالتزام به من مخالفته فهو مستوى التدين ، ويلاحظ أن فقدان البصر يعتبر إعاقة شبه كاملة في تحديد مستوى استقامة الصراط في حالة ابني آدم ، لاعتمادهما على الحواس ، خاصة البصر ، وعندما تقدم العقل على الحواس والسمع على البصر في العلم والتعلم والدين والتدين في رسالة الإسلام الخاتمة، فقد يشكل فقدان السمع مستوى من الإعاقة أكثر مما يسببها فقدان البصر .

و على ذلك يمكننا القول بأن مستوى استقامة الصراط متغير تابع تتحكم فيه عوامل أخرى منها : مكونات الرسالة السماوية سارية المفعول ومستوى التطور العلمي والحضاري والمدني ووسائل وآليات البحث والاستنباط والدراسة.. .

الإعداد المسبق للمسيرة البشرية :

جاء عن بدايات تنفيذ المشروع الإنساني والمسيرة البشرية في سورة الأعراف :

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْۖ قَالُواْ بَلَىٰۛ شَهِدْنَآۛ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ ، مما يؤكد على وجود حياة للإنسان قبل هذه الحياة وشهادة على نفسه بذلك سيقر بها ويحاسب عليها يوم القيامة ، وفي سورة الأحزاب : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾ ، مما يدل على أن الإنسان حمل الأمانة بإرادته الحرة في حياته الأولى ، و مع أن مقر خلافة الإنسان هو الأرض إلا أن علم الله سبحانه وتعالى وحكمته اقتضت أن تبدأ حياته في الجنة:

﴿ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّۖ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الأعراف] ، ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ﴾ [طه] ، ومع مواصفات الجنة المعلومة للذين آمنوا ، وهي أعلى طموحاتهم في الدار الآخرة وحياتهم الأبدية ، إلا أن الشيطان أغواه وأطمعه فيما صوره له بأنه أعظم منها ، وهو شجرة الخلد والملك الذي لا يبلى ، وإذا تسببت أوهام شجرة الخلد والملك الذي لا يبلى في خروج آدم وزوجه من الجنة وغوايته وعصيان أمر ربه الذي خلقه وأكرمه وسواه بيده ونفخ فيه من روحه وحذره من عدوه .. فما أعذره لأبنائه وأسرته من بعده في كل ما يفعلون ويتركون ،

وما أهون أمر ذريته من بعده عند شياطين الإنس والجن وأتباعهم ، وقد تأكد ذلك فيما جرى بين ابني آدم مع بدايات المسيرة البشرية على الأرض ، ولكن ، ومع كل ذلك : ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الحديد] ، وعن نهايات المسيرة البشرية على الأرض : ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [يونس] ، مما يؤكد على الإعداد المسبق للمسيرة البشرية من بداياتها وحتى النهاية.

الجبر والاختيار :

الإعداد المسبق للمسيرة البشرية وأن الله سبحانه وتعالى يفعل ما يريد يقودنا لمسألة الجبر والاختيار التاريخية المعروفة ، ولا نريد الخوض في ذلك ، ونكتفي بأن الله سبحانه وتعالى كتب على نفسه العدل والرحمة وأنه على صراط مستقيم ، وما ربك بظلام للعبيد ، ولا بغافل عما تعملون .

الرسالات السماوية :

﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ ﴾ [الذاريات] ، ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [القصص] .

﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [يونس] ، ﴿ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾ [الأعراف] .

خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان بمواصفات وقدرات خاصة على خلاف ما عليه المخلوقات الأخرى التي سبقته في الحياة على الأرض ، وجعله خليفته فيها ، وللقيام بأمر نفسه وعبادة ربه وخلافته على الأرض يحتاج للمعلومات والتوجيه والمراقبة من خالقه ، وذلك عن طريق اختيار الله سبحانه وتعالى لبعض الأفراد من البشر وتكليفهم بحمل أمانة التبليغ عنه .

تتأسس الرسالات السماوية على المرجعية والمعجزة ، والمرجعية هي مكونات الرسالة التي ينزلها الله سبحانه وتعالى على رسوله ، ومنها : الإيمان بالله واليوم الآخر وطاعة الله وطاعة الرسل ، والمعجزة هي الأمر الخارج عن المألوف الذي يستدل به الرسول على أن ما جاء به الرسول هو من عند الله سبحانه وتعالى ، ويعلم الله سبحانه وتعالى متى وأين وكيف ولماذا وعلى من ينزل رسالاته ، ومع أن اختيار الرسل يتم بإعداد وعلم من الله سبحانه وتعالى ، ومع ذلك تظل توجيهات ومراقبة الله سبحانه وتعالى اللصيقة لهم ، بما قد يصبح أو يكاد أن يكون تحذيرا وتهديدا في بعض الحالات : ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الحاقة] ، ﴿ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ ﴾ [ص] ، ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [الأنبياء] ، ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ ﴾ [عبس] ، ﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [الحجر] .

﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ ﴾ [النساء] .

و بما أن المسيرة البشرية قد سبق الإعداد لها ، يبدو أنه من ضمن هذا الإعداد

المسبق الترتيب المنظم للرسالات السماوية مع مراحل المسيرة البشرية وتطورها، وكانت البداية برسول الله آدم ﷺ والنهاية برسالة الإسلام الخاتمة ، على الرسول محمد ﷺ.

جاء في القرآن الكريم عن أوقات وأماكن وأقوام بعض الرسالات السماوية ، وقد شاءت إرادة الله سبحانه وتعالى وحكمته أن يخص بها بعض الأقوام في بعض الأماكن وفي هذه الحالة تنال حظها من التدين ، وحظها من العلم وبوجود رسالات سماوية أو بغيره ، فقد نالت مختلف المجتمعات الإنسانية في مختلف بقاع الأرض حظها من التطور العلمي والمدني والحضاري بأساليب ومستويات مختلفة ومتفاوتة ، ومن ذلك الإنجازات اليونانية والرومانية والفارسية والمايا وغيرها ، في الأراضي القديمة والجديدة ،التي حققوها في العلوم والآداب والفلسفة والفكر والفنون والسياسة ... قبل قرون من رسالة عيسى ﷺ ، وقد نحتاج ونستفيد من المقارنة بين الحالتين تاريخيا وفي وقتنا الحاضر ، ونحن نعلم بأن : ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ﴾ [الإسراء].

استمرت وتتابعت وتطورت مكونات الرسالات السماوية مع تزايد عدد الأنفس المستهدف ، وفترة الصلاحية الزمنية للرسالة ، وتطور محور العلم والتعلم والتقدم المدني والحضاري ، وبناء على هذا التطور والتدرج الذي انعكس على مستوى التعايش السلمي في مراحل الرسالات السماوية المختلفة ، يمكننا تقسيمها إلى :

مرحلة رسول الله آدم عليه السلام : وهي مرحلة سيطرة شبه كاملة للحواس ،

خاصة البصر ، في تشكيل محاور العلم والتعلم والمعجزة والمرجعية والدين والتدين ، وفيها كانت صعوبة التعايش السلمي حتى بين الأشقاء المؤمنين.

الرسالات ما بعد فترة آدم وحتى إلى ما قبل رسالة رسول الله إبراهيم : استمرار الغلبة لفعاليات الحواس خاصة البصر في تشكيل محاور العلم والتعلم والمعجزة والمرجعية والدين والتدين ، صعوبة في التعايش السلمي بين المؤمنين والكافرين، وغالبا ما تكون النهاية بنجاة المؤمنين وهلاك الكافين بمعجزة إلهية.

رسل بني إسرائيل : من رسول الله إبراهيم وحتى رسول الله عيسى ، وهي المرحلة الأولى من رسالة الإسلام الكبرى ، ووعد الله سبحانه وتعالى المؤمنين برسالة الإسلام الكبرى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [البقرة]، و﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأنعام] ، على ذلك قد يمكننا القول بأن تفاضل وتمايز المؤمنين بالله واليوم الآخر من كل أتباع الرسالات السماوية ينبني على عمل الخير وتفاضلهم في القيام بصالح الأعمال .

و بعض مما جاء في القرآن عن المسلمين :

﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [القلم] .

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾﴾ [البقرة] .

﴿الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾﴾ [الحجر] .

﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ٧٨ ﴾ [الحج] .

﴿ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتۡنَاۚ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ ١٢٦ ﴾ [الأعراف]، وفيها نزلت الصحف ، والتوراة كأول الكتب السماوية ، وحدث قدر من التطور الايجابي في التعايش السلمي بين جماعات المؤمنين ، والتعايش السلمي الهش بين الأقلية المؤمنة والأكثرية الكافرة، وقد تحقيق في هذه المرحلة ما يشبه التوازن ما بين فعاليات الحواس والعقل في التحكم في تشكيل محاور العلم والتعلم والمعجزة والمرجعية والدين والتدين ، وظهرت في هذه المرحلة الممالك والإمبراطوريات ، وكان رسل الله سليمان وداوود ملوكا على بني إسرائيل ﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَٰهِدِينَ ٧٨ فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَسَخَّرۡنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلۡجِبَالَ يُسَبِّحۡنَ وَٱلطَّيۡرَۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ٧٩ ﴾ [الأنبياء] ، وختمت هذه المرحلة برسالة رسول الله عيسى صلى الله عليه وسلم والإنجيل ككتاب ثاني مقدس لأتباعه النصارى، ومع أنها تتبع لنظام الارتباط الجامد بين مستوى الدين والتدين مع مستوى العلم والتعلم ، إلا أن ذلك لم تكن له آثار سالبة عليها ، لأنها تتأسس على الدين والتدين كقيم وسلوك فردي ، وما لله لله وما لقيصر لقيصر ، مما يعني أنها لا تتأثر بالتطور العلمي والمدني والحضاري ، كما يعني الفصل بينها والأنظمة السياسية والاجتماعية والاقتصادية .. للمجتمع، ولكن البشرية أصبحت في حاجة متزايد لتحديث أنظمتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية ... ،لتلبي حاجات المجتمعات الإنسانية في مراحل المسيرة البشرية التالية، لذلك أصبحت في حاجة لتحديث وتطوير مستوى وشكل ومضمون الأعمال الصالحة ، وهو ما تحقق في

رسالة الإسلام الخاتمة ونظام الحكم فيها .

و عن مستوى ارتباط الدين والتدين مع العلم والتعلم وما ينجم عنه من مستوى استقامة الصراط في الرسالات السماوية في تلك الفترات :كان الارتباط محددا ومحصورا ومتباعدا في فترة الرسالة السماوية سارية المفعول لضعف مستوى وعجلة تسارع التطور العلمي والمدني والحضاري ، وكذلك كانت استقامة الصراط النسبية ، وتغير كل ذلك بحلول وقت رسالة الإسلام الخاتمة .

نظام
الحكم
الأصلح

الباب الثاني
ختم الرسالات السماوية

عند المؤمنين ، يحتاج الإنسان بحكم تكوينه والغاية من خلقه للمراقبة والتوجيه الدائم من الله سبحانه وتعالى ، ولذلك فإن ختم الرسالات السماوية يعني أن مكونات الرسالة الخاتمة ومضامينها تكفى لتلبية حاجاته في المراحل التالية للمسيرة البشرية .

و رسالة الإسلام الخاتمة هي : المرحلة الثانية من رسالة الإسلام الكبرى ، ﴿ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [آل عمران] ، وستظل سارية حتى نهاية حياة الإنسان على الأرض وهي الفترة التي تشهد تطورا علميا وتزايدا في أعداد البشرغير مسبوق ، وهي دعوة للتدين الفردي والجماعي ، وفيها ، ولأول مرة ، تطابقت المرجعية مع المعجزة ، وتقدم العقل على الحواس والسمع على البصر ، وعلى ذلك تتشكل محاور العلم والتعلم والمعجزة والمرجعية والدين والتدين ومستوى استقامة الصراط ، وهي تدعوا للتعايش السلمي الكامل بين مختلف الأديان والقوميات والأعراق ، وبعد أكثر من ألف عام من نزولها، وبمستوى ما تحقق من تطور غير مسبوق في كل مجالات الحياة ، يمكننا عمل البحوث والدراسات ، لرسم مسارها التاريخي وتقييم مقدار ومستوى ما تحقق من أهدافها، وما توفر عنها من معلومات وخبرات كما نفعل مع الرسالات والأمم السابقة عن : المشروع الإنساني ، وخالقه ، والإنسان وطبائعه والقوانين التي تتحكم فيه ، والعلم والتعلم والدين والتدين واستقامة الصراط ، وماضي وحاضر ومستقبل المسيرة البشرية ... وتوظيف ذلك وغيره في محاولات لمعرفة ودراسة المكونات الحقيقية لرسالة الإسلام الخاتمة ونظام الحكم فيها، ولرسم خارطة طريق لتقويم مسار مستقبل البشرية .

بتقديرنا لنسبة تعداد البشر بعد الرسالة الخاتمة حتى نهاية حياة الإنسانية على الأرض بما يزيد على 90٪ من جملة المكون البشري في المشروع الإنساني ،

وبنفس النسب ، أكثر من 90٪ ، للتطور العلمي والحضاري والمدني في نفس الفترة ، وعلى ذلك قد يمكننا القول بأن أكثر من 90٪ من مكونات المشروع الإنساني الأساسية تقع داخل نطاق رسالة الإسلام الخاتمة، وقد يكون أيضا ، أكثر من 90٪ من تلك أل 90٪ يقع بعد الألفية الثانية من بعثة الرسول محمد ﷺ .

وقد يكون من الأسباب التي أهلت البشرية لهذه المرحلة المتقدمة من الاعتماد على الذات وختم الرسالات السماوية : ما تحقق من تطور علمي وتسارع عجلته ، وما يرتب على ذلك من تطور مدني وحضاري في كل مجالات حياة الإنسان بما يشبه خط السير المتصل وليشمل كل سكان الأرض من البشر، بعد ما كانت متباعدة في مراحل تكرار وتوالي إرسال الرسل ، وحصر الرسالات السماوية في أماكن وأقوام وفترات زمنية محددة ، وينعكس ويتكامل هذا التطور والتغيير في محور العلم والتعلم على محاور المعجزة والمرجعية والدين والتدين واستقامة الصراط ، فأنزل الله سبحانه وتعالى آخر ما يريد من معلومات وتعليمات بكلامه المباشر الوارد في القرآن الكريم كمعجزة ومرجعية على رسوله محمد ﷺ ولكل البشر في رسالة أخيرة وخاتمة لما تبقى لهم من حياة على الأرض، وقد تكفل الله سبحانه وتعالى بحفظ هذا الكتاب المقدس الأخير ، وبعد أكثر من ألف عام على نزوله يمكننا القول بأنه على أتم الحفظ والصون والإعجاز والكمال ، والقابلية الدائمة للاستمرار ، وبذلك أصبح كلام الله سبحانه وتعالى ، معجزة الرسالة الخاتمة ومرجعيتها ، موجها لكل الناس مباشرة، وبذلك قد يمكننا القول بأن البشرية قد تهيأت وارتفعت لمستوى التلقي المباشر لجانب من كلام الله سبحانه وتعالى وتعليماته ، وذلك لا يتناقض مع رسالة رسول الله محمد ﷺ ، بل يتكامل معها، وعلى ذلك يتحمل المؤمنون بها القيام بأمرها وقيادة المسيرة البشرية حتى قيام الساعة ، كل على حسب قدرته .

الرسالة الخاتمة :

عندما أهل وقت الرسالة الخاتمة كان العقل قد تقدم على الحواس والسمع على البصر ، وتبع ذلك تطور وتدرج وانتقال شبه كامل من اعتماد العلم والتعلم والدين والتدين والمعجزة والمرجعية على الحواس في حالة ابني آدم إلي الاعتماد شبه الكامل على العقل في رسالة الإسلام الخاتمة ، وما رافق ذلك من تطور وتدرج في الانتقال شبه الكامل من المعجزات والبراهين المادية والحسية في دعم الموجات الأولى من رسل الله صلى الله عليهم وسلم إلى دعمها بالمزيد من البراهين و الحجج والأدلة العقلية في الموجات التالية ، حتى اكتمل ذلك في الرسالة الخاتمة بما يشبه الاعتماد شبه الكامل على البراهين والأدلة والحجج العلمية والعقلية ، وتجسد ذلك في آيات القرآن الكريم ، والتي هي معجزة ومرجعية رسالة الإسلام الخاتمة والأساس للدين والتدين الفردي والجماعي ، وستظل كذلك حتى نهاية حياة الإنسان على الأرض ، وسبق هذا التطور غير المسبوق تطور غير مسبوق في الكتابة بالتحول من استعمال الرسومات والأشكال والرمز إلى أنماط من الحروف والأبجدية ، واستحداث المواد والمعدات الخاصة بها ، حتى أصبحت عندما أهل وقت الرسالة الخاتمة : قابلة للانتقال والانتشار بين عامة الناس وبين التجمعات السكانية البشرية في مختلف بقاع الأرض ، مما يساعد على حفظ ونشر كتابها المقدس كمعجزة ومرجعية دائمة ، وأدى لارتفاع سرعة وعجلة تسارع التطور العلمي وانتشاره في كل المجتمعات في العالم القديم ، وبذلك انتفت الحاجة لنظام الارتباط الموقوت والجامد بين مستوى العلم والتعلم والدين والتدين الذي كان سائدا في الرسالات السماوية السابقة وفقد صلاحيته ، وأهل وقت الانتقال للارتباط المتحرك بين مستوى العلم والتعلم والمعجزة والمرجعية والدين والتدين في مراحل المسيرة البشرية التالية ، وينعكس ذلك على مستوى استقامة الصراط النسبية ، فتصبح متغيرا تابعا ، مما يشكل بديلا عن تكرار إرسال الرسل والكتب المقدسة ، مما يعني ، بالضرورة ،

أن مكونات الرسالة الخاتمة تتضمن القدرات الكامنة لتلبية كل حاجات الإنسانية في مراحلها التالية ، لذلك لا يمكن تحديد مستوى الطاعة المطلوبة واستقامة الصراط في رسالة الإسلام الخاتمة إلا بالاستمرار الدائم في البحوث العلمية والدراسات في مصادر ومكونات رسالة الإسلام الخاتمة وارتباطها بما حققته البشرية من تقدم نظري وعملي في العلوم والمعارف وانعكاساتها على قدرات وحاجات الإنسان في مختلف جوانب الحياة .

امتازت رسالة الإسلام الخاتمة بإحاطتها بكل جوانب حياة الإنسان وبأدق تفاصيلها مما يستدعي أن يكون نظام الحكم والإدارة فيها على نفس هذا المستوى من الإحاطة ودقة التفاصيل، ويفترض في تفسير وتأويل مكونات الرسالة الخاتمة ونظام الحكم فيها ، أن تواكب المستوى العلمي والمدني والحضاري البسيط وقت نزولها والمستوى العلمي والتطور الحالي ، وشديد التطور والتعقيد عندما يظن أهل الأرض أنهم قادرون عليها .

الرسول محمد ﷺ :

اختار الله سبحانه وتعالى رسوله محمد لآخر رسالاته في المشروع الإنساني :

﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ [الأحزاب] .

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ [آل عمران] .

﴿ طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ ﴾ [طه] .

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الأنبياء] .

﴿ وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ

خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ﴾ [الإسراء] ، وإذا كان الرسول محمد ﷺ يمكن أن يتعرض لما تعرض له فيما يخص الوحي ، فقد يتعرض في غيره من ظروف الحياة لما قد يساويه أو يزيد عليه ، لذلك قد يحتاج للمراقبة اللصيقة والتوجيه الدائم في ولاية الأمر وشؤون الحكم والسياسة والإدارة ، وبهذا الدعم المباشر والمستمر من الله سبحانه وتعالى تمكن الرسول محمد ﷺ من القيام بمهام الرسالة والتبليغ والدعوة وولاية الأمر والتعامل في حالات الخلاف والتنازع .. ، وهو ما لم ، ولن، يتيسر لغيره من البشر.

القرآن والرسالة الخاتمة :

القرآن هو كلام الله سبحنه وتعالى في مخاطبته شبه المباشرة للرسول محمد ﷺ ، وللإنسانية من بعده ،فيما تبقى لها من حياة على الأرض ، وهو معجزة ومرجعية رسالة الإسلام الخاتمة ، وبذلك ، وفي حالة غير مسبوقة وغير قابلة للتكرار ، تتطابق المعجزة والمرجعية في رسالة سماوية.

و عن بعض مما جاء في القرآن عن القرآن :

﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ﴾ [الفرقان] .

﴿ الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ ﴾ ﴿ الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ ﴾ [هود] .

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [يوسف] .

﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [ص].

﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحشر] .

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾

[المائدة:48] .

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجر] .

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ ﴾ [القمر] .

و بعض مما جاء فيه عن المسلمين :

﴿ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [القلم] .

﴿ الٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ﴾ [الحجر] .

﴿ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ ﴾ [الحج] .

﴿ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَاۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [الأعراف] .

و قد جاء في القرآن أنه : عربي مبين وميسر .. وقد يكون من ذلك : لفتح الأبواب للبحث والاستنباط والدراسة .. لكل المؤمنين برسالة الإسلام الخاتمة ، خاصة الناطقين بالعربية ، حتى لا يدعي بعض الأفراد أو الجماعات أو التنظيمات أو الحكومات الإنفراد بحقوق الشرح والتأويل والنشر .

العلم و التعلم و الرسالة الخاتمة :

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾ [البقرة] .

﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ

وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ ﴾ [يونس] .

﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْآخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ [الزمر] .

﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ [الملك].

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾ ﴾ [البقرة] ، ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾ ﴾ [آل عمران] .

و بعد أكثر من ألف عام على نزول القرآن يمكن القول بأن المسلمين أصبحوا من الذين اختلفوا في الكتاب ، وهم في شقاق بعيد ،مما يوفر مجالا واسعا للبحث والدراسة في هذا الزمان ، ولهذه الأسباب ولسلامة النقل والتوثيق والارتباط المتحرك لمستوى الدين والتدين مع مستوى العلم والتعلم ولغيره كان الأساس والتأسيس العلمي للرسالة الخاتمة .

الأساس والتأسيس العلمي للرسالة الخاتمة :

و ليس عشوائيا ولا عبثيا أن يستهل الله سبحانه وتعالى رسالته الأخيرة للبشرية بـ : « بسم الله الرحمن الرحيم ، ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾ [العلق]، من خصائص ومواصفات الأكرم بأنه قد يعطي بغير حساب وبلا من ولا أذى ، ولا عائد ولا مصلحة ولمن يستحق ولمن لا يستحق .. ، وأن العلم يشمل العلوم الدينية

والطبيعية و.. وسائل البحث ، وهو الذي يقود إلى التطور والتجديد وارتفاع مستوى القدرات والحاجات في كل جوانب الحياة .. ، وذكر أن وسيلة التعليم هي القلم ، وأن العلم المقصود هو حصيلة المجهود المنظم المكتوب ، و« علم الإنسان » تشير إلى أن هذه المنحة الإلهية عامة لكل من يأخذ بالأسباب من بني الإنسان ، و« ما لم يعلم » تأُكيد على التجديد والتحديث والتطور والإضافات الدائمة للعلم والمعلومات في كل مجالات المعرفة .

و علامات التكريم للعلم ووسائله في رسالة الإسلام الخاتمة أن الله سبحانه وتعالى أقسم بالقلم و بما يُكتب به في مطلع السورة التي سميت بسورة القلم ﴿نٓ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ١﴾ ، وهذا يعني أن الرسالة الخاتمة تقوم على المناهج العلمية وأكتاف وجهود أصحاب العقول والقدرات المُميزة في الفكر والتفكر والعلم والتعلم والتصميم والتنفيذ ، وللتعامل مع العلم والتعلم على هذا المستوى من الأهمية يحتاج إلى الانتقال به من الجهود الفردية المحدودة وغير المنظمة التي كانت سائدة في المجتمعات الإنسانية إلى جهود الجماعة والدولة المنظمة ، وبذلك ألحقت رسالة الإسلام الخاتمة العلم والتعلم بحاجات الإنسان الحيوية ، وقد أطلق الرسول محمد ﷺ بعض من أسرى بدر الملمين بالكتابة مقابل تعليمهم لها للأعداد من المسلمين ، وقد ظل العلم والتعلم يتطور وفعاليته وأهميته في ارتفاع واتساع في كل مجالات الحياة حتى أصبح العامل الأكثر أهمية في تحقيق حاجات الإنسان إلى الإطعام من الجوع والأمن من الخوف كما أدى للإضافات المضطردة في حاجات الإنسان الأساسية، ورافق جانب العلم والتعلم وتكاملت معه جوانب القانون والنظام والأخلاق .. وغيرها في الرسالة الخاتم ، وكان على رأس كل ذلك نظام الحكم فيها .

و أكدت الرسالة الخاتمة على أهمية التفكر كوسيلة وطريق للمعرفة واتخاذ القرارات المصيرية الصعبة للأفراد : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ ﴾ [سبأ] ، مع الأهمية العالية لزمان ومكان وأسباب نزول هذه الآية الكريمة والمعنيين بها إلا أنه يمكن القول بأن المعنيين لم يجدوا في ما عرضه عليهم الرسول محمد ﷺ من آيات وأدلة وبراهين على صدق رسالته ما يقنعهم بإتباعه ، أو ما يستدلون به على كذب رسالته فيكفرون بها ، ولا يجدون من ، أو (و) من يساعدهم في حسم هذا الأمر ، لذلك قد يكون التفكر في هذه الحالة وسيلة للأفراد لاستخدام العقل للبحث والدراسة والتعلم واتخاذ قرارات شخصية ومصيرية في مسائل شديدة الأهمية والخصوصية لا يجدي معها علم الآخرين ولا خبراتهم ، وقد يكون في الأمر بالقيام لله إشارة إلى الجدية والإخلاص وقد يكون في تقديم مثنى على فرادى في هذا الترتيب التنازلي إشارة إلى ألا يتجاوز العدد في حالة التفكر الاثنين كحد أقصى، وبذلك يكون التفكر جهد وعمل فردي أو شبه فردي وليس جماعيا كالحوار والنقاش والذي قد يبدأ من مثنى وثلاثة تصاعديا .. كما يفترض في النشاط السياسي ، مما قد يعني ضمنيا الفصل بينهما ، وسنحاول الالتزام بذلك،وقد يحتاج التفكر كوسيلة للمعرفة: للبحث والدراسات في مختلف جوانبه لرفع مستوى فوائده ومساهماته وتفادي سلبياته وسد ما به من نواقص وثغرات .

قد يؤدى التطور الدائم في العلم ومناهج وسائل البحث العلميإلى المزيد من المعلومات والاستنباطات عن الله سبحانه وتعالى والمشروع الإنساني والمسيرة البشرية والخلود النسبي للإنسان وغير ذلك، ومن ذلك:

ما جاء في سورة الواقعة عن السابقين المقربين في جنات النعيم بأنهم : ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ ، ولم يكن مما يسر المسلمين أن يكون الآخرون أقلية ، فنزلت لترضيهم الآيات : ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾، ونالت

قبول الأكثرية منهم لأنهم من متوسطي الذكاء ، ولكن قد يتساءل الأذكياء : هل زاد الله سبحانه وتعالى أعداد ونسبة الآخرين ليرضي المؤمنين وبذلك يكون قد غير في حكمه ؟ أو ما الذي حدث في الحقيقية ؟ وماذا هم فاعلون إذا ما كان يترتب على هذا الأمر أحكام وحقوق ومسئوليات ؟ وما كانت لهم من وسائل للتعامل مع مختلف الافتراضات والخلافات ، إلا أن يقولوا آمنا به ، كل من عند الله ، ولكن اليوم يستطيع التلميذ الدارس للنسبة والتناسب عمل الحسابات والنسب بعد تقدير الإحصائيات المناسبة عن أعداد المسلمين والعدد الكلي للأنفس فيوقت نزول الآيات وفي هذا الزمان ، وهو ما يعني ثبات البسط « ثلة » وزيادة المقام في الآخرين عن الأولين ، وسنجد أن ما جاء في الآيات (13) و(14)يتطابق مع ما جاء في الآيات (39) و(40)و أن لا فرق بينهما ، وقد يرى بعض الذين آمنوا برسالة الإسلام الخاتمة بأن الآيات الثانية كانت تغنى عن نزول الأولى وتتجنب اللبس ، وقد يرى آخرون أنه يمكن تجنب الموضوع برمته لعدم جدواه العملية ، ولكن كل ذلك لم يحدث ، وما كان ذلك عبثا ولكن لنأخذه مأخذ الجد مثل كل ما جاء في القرآن ورسالة الإسلام الخاتمة ، وفيه تأكيد على صلاحية وجدوى محاولات البحث والاستنباط والدراسة لمكونات رسالة الإسلام الخاتمة بإمكانات ووسائل وآليات وقدرات هذا الزمان لتلبية حاجات إنسان هذا الزمان ، وقد يرى البعض تكامل ﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾ مع ﴿إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان:30] ، وقد يترتب علي هذا التكامل المفترض أحكام والتزامات وخلافات .. ، وعلى ذلك يمكن القول بأن خطاب الآيات للسابقين كان يتناسب مع قدراتهم العلمية وحاجاتهم ومع القدرات العلمية وحاجات أهل هذا الزمان ، وقد يشير ذلك إلى بعض من حكمة تصنيف ، وأسباب نزول آيات ، من القرآن محكمات وأخر غير محكمات ، وغير ذلك من علوم القرآن ، أما إذا ما كانت تترتب على هذه الآيات أحكام ، ستكون موضع خلافات غير قابلة للحسم

لأكثر من ألف عام ، والله لطيف لما يشاء .

تشمل رسالة الإسلام الخاتمة كل سكان الأرض مما يؤدي لتباين مستويات العلم والتعلم في مختلف الأقاليم السكانية ، مما يؤدي لتباين مستويات ارتباط الدين والتدين مع العلم والتعلم ، كما أن مستوى هذا الارتباط هو الذي تنبني عليه العلاقات مع غير المؤمنين بالرسالة الخاتمة في مختلف الدول والأقاليم ، مما يضيف المزيد من المتغيرات والمحددات والضوابط لشكل ومضمون هذا الارتباط ، ويرفع من مستوى أهميته في هذا العصر والمراحل التالية .

ما نخلص إليه : أن الارتباط المتحرك وتكامل محور الدين والتدين مع محور العلم والتعلم ، لا فكاك معه في رسالة الإسلام الخاتمة، وذلك ينعكس على كل مجالات الحياة وحاجات ونشاطات المسلم الدينية والدنيوية ، الخاصة والعامة ، وبما أن رسالة الإسلام الخاتمة تشمل كل سكان الأرض ، ولتباين مستويات العلم والتعلم في مختلف الأقاليم السكانية والأزمان ، ولما ينجم عن هذا الارتباط من نظم وقوانين وضوابط وتشريعات .. تنعكس على أشكال ومستويات العلاقات والتعامل فيما بين المسلمين ومع الآخرين ، مما يزيد من أهميته وخطورته ،و لتحقيق هذا الارتباط على هذا المستوى ، قد يحتاج المسلمون إلى وسائل وآليات وقدرات بخلاف ما هو مألوف لديهم ، وقد لا يكتمل هذا المسعى إلا باستحداث أبوب للمعرفة ووسائل غير تقليدية.

الإنسان والرسالة الخاتمة :

لم تتغير خصائص وصفات الإنسان الأساسية التي خلق الله سبحانه وتعالى الناس عليها ولا القوانين التي تحكمه ، ولكن الارتفاع المطردة في أعداد الأنفس وللتحول الكمي والنوعي في حاجات الإنسان إلي الإطعام من الجوع والأمن من الخوف والاتساع المطرد في دوائر المشاركين وارتفاع مستوى قوة الارتباط بين الأفراد والجماعات ، وإضافة الرسالة الخاتمة العلم والتعلم لحاجات الإنسان الحيوية ، ووضعت أنظمتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعدلية .. ، وفرضت زكاة الأموال العينية والنقدية كمورد للجماعة وأحد وسائل إشباع حاجات الأفراد والجماعات للإطعام من الجوع والأمن من الخوف والعلم والتعلم ،و ما ينجم عن ذلك من تطور وتداخل وتعقيد في حياة الناس ، والتراكم الكمي قد يؤدي إلى أشكال من التحول النوعي، وقد يكون من أسباب ذلك وغيره: ارتفاع شكل ومستوى الإلزام والتكليف للذين آمنوا برسالة الإسلام الخاتمة كأفراد وجماعات كما في نظام الحكم كما سنرى وفي : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾﴾ [النساء] ، مما يؤدى للزيادة المضطردة في أسباب وأشكال ومستويات الخلاف والتنازع بين الأفراد والجماعات الإسلامية .

الخلاف والتنازع والرسالة الخاتمة :

يتناسب التعامل مع الخلافات والنزاعات وأسبابها ، وبالتالي مستوى السلام الذي يمكن أن يحققه المؤمنون بالرسالات السماوية عامة، مع مستوى كفاءة الارتباط بين مستوى الدين والتدين مع مستوى العلم والتعلم، وبما أن هذا الارتباط متحرك في الرسالة الخاتمة ، وأن الرسالة الخاتمة قد ألغت قيود الزمان والمكان والقوم للرسالات السماوية ورفعت سقف الحريات والتعايش السلمي

لمستوى من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، وأضافت العلم والتعلم لحاجات الإنسان الحيوية ، وفرضت الزكاة والصدقات كوسائل للتكافل الاجتماعي ولإعادة توزيع الثروة .. ، وأنها تغطي كل المجتمعات الإنسانية في كل مراحلها التالية مع كل مستويات التطور والتباين في تلك المراحل مما يزيد من أسباب وأشكال ومستويات الخلافات والنزاعات بين الناس .

و ينعكس ذلك على ارتفاع مستويات التمدن والتحضر ، وارتباط وتكامل الأفراد والجماعات والأمم مع بعضهم البعض ، مما يؤدي للمزيد من أسباب الخلاف والتنازع بين الأفراد والجماعات والأمم ، ويدعو ذلك لعمل الأبحاث والدراسات الدائمة والمتطورة في مراحل المسيرة البشرية التالية ، ويتكامل ذلك مع تحقيق المزيد من أسباب ووسائل تقوية واستقامة الصراط ليتحقق التعايش السلمي.

الصراط المستقيم والرسالة الخاتمة :

كان الصراط المستقيم في الرسالات السماوية السابقة ينجم عن مستوى ارتباط العلم والتعلم مع المعجزة ، وبما أن كل هذه المكونات كانت ثابتة نسبيا خلال فترة سريان الرسالة ، فإن مستوى الارتباط يظل ثابتا نسبيا ، وكذلك الصراط وما ينجم عنه من أحكام وتشريعات ستظل كذلك لحين الانتقال للرسالة التالية ، أما الرسالة الخاتمة فقد تم إعدادها بحيث تواكب كل التطورات التالية في كل المجالات وبكل التفاصيل ، ولذلك يكون مستوى الارتباط متحركا ويشمل الصراط كل تفاصيل مكونات حياة الإنسان ، وعلى قدر مستوى الإحاطة بهذه المكونات وتفاصيل ودقة تحليلها ودراستها وتصنيفها وتحديد كيفية التعامل معها ووضع النظم والقوانين الخاصة بذلك ، يكون مستوى استقامة الصراط النسبي ، ومعلوم أن سورة الفاتحة تتكرر في كل ركعات الصلاة مع آيات أخرى من القرآن أو بدونها ، وأن الآيات الأولى في سورة الفاتحة هي تمهيد وتوسل لله

سبحانه وتعالى ليستجيب لطلبهم : ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾ ، ووصفتها لآيات التالية بأنه : صراط الذين أنعم الله عليهم ، ومنها أنعم الله الأكرم الذي علم بالقلم، وعلم الإنسان ما لم يعلم ، وهذا الانسياب الدائم للعلم وطلبه هو الذي يؤدى إلى استمرار وارتباط مستوى استقامة الصراط مع حركة تطور العلم والتمدن والتحضر الدائمة ، وأنه صراط غير المغضوب عليهم ، لأن من يستوجب غضب الله يكون قد خرج عن الصراط المستقيم ولم ينتفع بما وهبه الله من علم ، ومثلهم الضالون الذين لا يتبعون الوسائل التي تؤدي إلى استقامة الصراط ، ونلاحظ أنه جاء في السورة : « أهدنا » وليس أهدني ، وبذلك يكون الدعاء بهداية الجماعة للصراط المستقيم هو محور السورة ومركز الثقل فيها ، وعلى نفس المستوى تكون أهميته في الصلاة ، والصلاة عند المسلمين هي الصلة الدائمة بين الله وعباده ، ويعلم المسلمون بأن الصلاة تنهي عن الفحشاء والمنكر والبغي وهي من أكبر الآفات والعلل التي تصيب الإنسان والمجتمعات الإنسانية وأنظمة الحكم عندما لا تهتدي إلى الصراط المستقيم .. ، ويمكن وضع نظام الحكم ونظام تعامل الجماعة في أمورها العامة المشتركة من بين أهم أسباب ومقاييس استقامة الصراط، ولا يرتفع تصنيف مستوى نظام الحكم عند المسلمين ولا استقامة الصراط إلا بتطبيق نظام الشورى وملحقاته ، وبذلك يكون الالتزام بتطبيق الشورى من أهم ثمرات الدعاء بطلب الاهتداء للصراط المستقيم الذي يتكرر في كل ركعات الصلاة لذلك أصبحت الرسالة الخاتمة في حاجة لتصميم نظام الحكم الذي يتناسب معها ويلبي استحقاقاتها في كل مراحل المسيرة البشرية التالية .

نظام
الحكم
الأصلح

الباب الثالث
نظام الحكم في الإسلام

كغيره من مكونات الرسالة الخاتمة يهدف نظام الحكم في الرسالة الخاتمة لتحقيق حرية وكرامة الإنسان والإصلاح في الأرض ومحاربة الفساد فيها ، والتعايش السلمي بين الناس على مستويات : إن أكرمكم عند الله اتقاكم وكلكم لآدم وآدم من تراب ومن شاء فا ليؤمن ومن شاء فا ليكفر .. ، ويتأسس نظام الحكم في الرسالة الخاتمة على المسئولية والنظام والانضباط والمنهج العلمي ، ويخضع في تطوره لارتباط مستوى الدين والتدين مع مستوى العلم والتعلم .

التأسيس العلمي لنظام الحكم في الإسلام :

في سور ة العلق ، وبعد الأساس و التأسيس العلمي للرسالة الخاتمة ، ورد الأساس والتأسيس العلمي لنظام الحُكم فيها في الآيات السادسة والسابعة ، ولكن على خلاف أُسلوب و روح الآيات التعليمية السابقة ، جاءت الألفاظ الم دوية والتحذير بأعلى النبرات من بعض أهم صفات وخصائص الإنسان وأحد أهم القوانين التي تحكمه : ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧ ﴾ [العلق] ، ويتكامل مع : ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۝٣٧ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝٣٨ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٣٩ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٤١ ﴾ [النازعات] ، و ﴿ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝١٥ ﴾ [البقرة] ، ﴿ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴾ [المائدة: 64] ، وجاء الحسم: ﴿ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝١١ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ۝١٢ ﴾ [الفجر] ، وتنتهي المنظومة باقتران الفساد في الأرض بسفك الدماء : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٣٠ ﴾ [البقرة] ، وبذلك تكون المتلازمة : استغناء الإنسان يؤدى إلى الطغيان الذي يودى إلى الفساد في الأرض وسفك الدماء، وبذلك يكون كل ما يؤدي للاستغناء والطغيان فهو مرفوض ، وقد نهى الله سبحانه وتعالى رسوله عن السيطرة ،و عن جذور الداء وخصائص ومواصفات حملته : ﴿ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۝١٦ ﴾ [العلق] ،

ومعلوم أن الكذب متعمد ، أما الخطأ فغالبا ما يكون غير متعمد ، لكن النص القرآني مع دقته المتناهية ، أو قد يكون بسبب دقته المتناهية ، لم يفرق بينهما في هذه الحالة الاستثنائية ، و قد يكون ذلك لأن الخطأ في هذه الحالة ينتج عن تراكم أكاذيب و انحرافات وسلبيات يمكن تفاديها ، وقد يكون الخطأ في الأمور التي تخص الشخص في ذات نفسه يختلف عما يرتكبه الفرد في حق الجماعة ، لأن الأصل فيما يخص الجماعة أن يكون القرار فيه للجماعة ، ولذلك لا تتحمل مسؤوليته ناصية واحدة ، وقد يكون ذلك لأن ال تأثير المُشترك لهاتين الصفتين في هذه الحالة يمكن أن يعطل وسائل وآليات التعامل في حالات الخلاف والتنازع ، وينسف الحكمة من خلق الإنسان وخلافته وكرامته وحريته .. ، ويهدم الأساس والتأسيس العلمي لرسالة الإسلام الخاتمة و لنظام الحكم في ها ، مما يُعرض أهداف و مقومات ومكونات الرسالة للانحراف والتزييف ، وهو ما ظل يحدث بعد الانقلاب على الخلافة الراشدة ،و حتى اليوم.

﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ ﴾ [البقرة]، وقد يكون من أفضال الله سبحانه وتعالى على العالمين في الرسالة الخاتمة ما ورد فيها من معلومات وتعليمات عن نظام الحكم وملحقاته ، ووسائل وآليات لدفع الناس بعضهم ببعض بالطرق العلمية والحضارية السلمية .. ، و بالشدة ، والعنف العنيف والقتل إذا لزم الأمر.

والقيام بأمر التأسيس العلمي لنظام الحكم في الإسلام يحتاج للبحوث والدراسات الدائمة في مختلف أبواب المعرفة .

***

تشريع نظام الحكم في الإسلام :

ظروف الحياة الطبيعية هي التي أوجدت الشورى لفض النزاعات وتوفير ضروريات الحياة ولفرض الأمن والنظام... ، وأضافت رسالة الإسلام الخاتمة العلم والتعلم لحاجات الإنسان الحيوية والزكاة والصدقات كوسيلة لإعادة توزيع الثروة ومورد مالي للأفراد والجماعة .. وكل ذلك وغيره من الأعمال الصالحة : ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣﴾ [العصر] ، مما يشير إلى أن الإنسان المؤمن في خسر ما لم يعمل الخيرات والصالحات ويتواصوا بالحق وبالصبر ، وكل هذه الصفات التي عليها يتقرر مصير الإنسان مرتبطة بالآخرين ونظام الحكم، وبتأكيد رسالة الإسلام الخاتمة على حريات وكرامة وحقوق الإنسان والتعايش السلمي الشامل بين كل البشر ، على مستوى من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ، وبمتطلبات نظامها التعليمي والاقتصادي والاجتماعي والعدلي .. ، تكون قد أحدثت نقلة نوعية في حياة المجتمعات الإنسانية تعجز أنظمة الحكم السابقة عن التعامل الايجابي معها ، لذلك تحتاج أن تواكبها نقلة نوعية في تصميم وتسيير أنظمة الحكم التي ستستمر وتتطور حتى نهاية حياة الإنسان على الأرض ، ولهذا ولغيره وضعت الرسالة الخاتمة نظام الحكم الخاص بها ، ووفرت له ما يلزمه من معلومات وتعليمات وأعلى مستوى من درجات الإلزام ، ويرتكز تشريع هذا النظام ووسائل وآليات تطبيقه في حياة الرسول محمد ﷺ وللأمة من بعده على ثلاثة محاور وهي :نظام الشورى وطاعة أُولى الأمر والتعامل في حالات التنازع.

يخضع نظام الحكم في الإسلام للأساس والتأسيس العلمي للرسالة الخاتمة ، والأساس والتأسيس العلمي لنظام الحكم الوارد فيها ، وللارتباط المتحرك بين مستوى الدين والتدين مع مستوى العلم والتعلم وما ينجم عنه من استقامة نسبية للصراط ، ودفع الناس بعضهم ببعض ، ويتكامل مع بقية مكونات الرسالة ، وبما

أن هذه المحددات مرتبطة بمستوى التطور العلمي والمدني والحضاري الذي تحققه البشرية ، لذلك فهو أيضا في حالة تحول وتطور دائمة.

نظام الحكم في عهد الرسول محمد ﷺ :

من خصوصيات الرسول محمد ﷺ ونظام الحكم في عهده غير القابل للاستمرار ولا للتكرار :

أن الله سبحانه وتعالى هو الذي أختار الرسول وأنزل عليه الوحي والقرآن ، وهو الذي يراقبه ويوجهه ويحاسبه .. ، وأن الرسول محمد ﷺ هو مبلغ للتشريع عن الله سبحانه وتعالى وشارحاً ومفصلاً له ، وهو المؤسس للدولة و ولي أمر الجماعة، والقائم على إدارة شئونها العامة : الدينية والسياسية والإدارية والقضائية .. ، وسنتحدث عن محاور نظام الحكم الثلاثة في فترة الرسول محمد ﷺ بهذا الترتيب لخصوصيتها ولأنه الأنسب في هذه الحالة :طاعة ولي الأمر والشورى والتعامل في حالات التنازع :

طاعة ولي الأمر :

صاحب الأمر ، أو الجهة السيادية إذا جاز التعبير ، في حالة ولاية الرسول محمد ﷺ لأمر أتباعه هو الله سبحانه وتعالى والرسول محمد ﷺ ، وذلك للأوامر الواردة في القرآن الكريم للذين آمنوا بطاعة الله وطاعة الرسول ، ولأن ولاية أمر الجماعة في الجوانب الإدارية والتنفيذية ، في الحرب والسلام ، كلها من ضمن شئون الرسالة ، وحتى بعض الجوانب الشخصية في حياة الرسول محمد ﷺ منها ما يتبع شئون الرسالة والإشراف الإلهي المباشر ،كما أن النبي و الرسول محمد ﷺ يتلقى معلومات وتعليمات من الله سبحانه وتعالى قد تأمره بتجاوز رغباته الشخصية وما يجمع عليه صحابته ، وما قد يتعارض مع أحكام وتشريعات القرآن الملزمة لعامة المسلمين ، وكان له ، أو عليه ، أن يقتل بدون محاكمة، وأن يحارب

ويغزو ويسالم .. ، وأن يقتل الزاني المحصن وإن كان صريح القرآن يأمر بالجد ، وقد جاء أن الرسول محمد ﷺ قد استرق بعض أسرى الحرب مع ما جاء في القرآن الكريم من أمر صريح بإطلاقهم في نهاية الحرب بمقابل أو بدونه .. ، وللتعامل مع مثل هذه الخلافات نحتاج للبحوث والدراسات عن : فترة الرسول محمد ﷺ والوضع الدائم للأمة من بعده ، وعن نظام التعامل في حالات الخلافات والنزاعات التابعة لنظام الشورى وولاية الأمر وملحقاته .

و يحتاج التمييز بين خصوصيات الرسول محمد ﷺ في ذات نفسه وبين سنته التشريعية للمؤمنين الواجبة الإتباع من بعده إلى مراجعة وتدقيق بعد الخلط المتعمد وغير المتعمد الذي حدث.

الشورى :

جاء الأمر بالشورى للرسول محمد ﷺ في : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [آل عمران] ، وبما أن التشريع من الله سبحانه وتعالى ، فإن الرسول محمد ﷺ شارح ومفصل ومنفذ ومعلم له ، لذلك تنحصر شورى الرسول محمد ﷺ للجماعة في الجوانب التنفيذية في السلم والحرب ، وحتى في هذه الحدود فإن الشورى غير ملزمة للرسول صلى الله عليه وسلم ، حتى في حالات الخلاف والتنازع ، لأن الجانب التنفيذي الذي يتولاه الرسول هو امتداد لمهام الرسالة وتحت الرقابة الإلهية .

حالة التنازع :

نفهم من التنازع بأنه حالة أكبر وأخطر من الخلاف ، وغالبا ما يكون التنازع بين جماعات شبه متساوية في الحقوق والواجبات والقدرات ... ، وهذا غير وارد في حالة طرفين أحدهما الله سبحانه وتعالى ورسوله الأمين .

على ما تقدم قد يمكننا القول بأن : مما يميز فترة ولاية الرسول محمد ﷺ للأمر هي: أن الله سبحانه وتعالى ، صاحب الشأن الأعظم ، وهو الذي اختار محمد ﷺ كرسول وولي أمر ، ومع ذلك : ﴿ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الغاشية]، ولأن الأمر والحكم لله سبحنه وتعالى ، وهو الذي يوجهه ويراقبه ويحاسبه، وعليه مشاورة جماعته في الأمر ، ولكنها شورى غير ملزمة،و كل ذلك غير قابل للتكرار.

نظام الحكم لجماعة المسلمين :

مما يترتب على انتقال الرسول محمد ﷺ للدار الآخرة : توقف الوحي والرقابة الإلهية المباشرة وتلقي بشر معلومات وتعليمات من الله سبحانه وتعالى كما كان يحدث في حياة الرسول محمد ﷺ ، وبالتالي أصبحت مخاطبة الله سبحانه وتعالى العامة والمباشرة للإنسانية هي القرآن الكريم، وبذلك تكون سيرة وأقوال وسنة رسول الله الأمين هي النموذج العملي لتطبيقها بقدرات وحاجات تلك الفترة ، ولم تعد الأحكام الخاصة التي أمر بها أو نفذها الرسول محمد ﷺ، والتي قد تتعارض مع نصوص القرآن الكريم، لم تعد ملزمة للمؤمنين من بعده لأنها ظرفية ووقتية ومن الله سبحانه وتعالى.

في حديثنا عن نظام الحكم في فترة الرسول محمد ﷺ ، كان ترتيب ولاية الأمر هو الأول ، ومن بعده الشورى ثم التنازع ،لأسباب منها : أن التشريع وولاية الأمر في تلك الحالة فكانت لله وللرسول ، ومن ثم فإن الشورى والتعامل في حالات التنازع يتبعان أيضا لنفس السلطات تشريعيا وتنفيذيا ، أما بعد فترة الرسول محمد ﷺ ، ومع الأمر الدائم للذين آمنوا بطاعة الله سبحانه وتعالى ورسوله محمد ﷺ ، فقد نص القرآن الكريم بأن أمرهم شورى بينهم ، وبذلك تكون الجماعة هي صاحبة الأمر والصلاحيات ، أو الجهة السيادية ، التي لها حق القرار في الشئون العامة للناس . وعلى ذلك تكون الشورى هي وسيلة الجماعة وآليتها لتسيير النظام

، وهي التي تقرر صلاحيات ولي الأمر والتعامل في حالات التنازع ، وقد يكون ولي الأمر طرفا في بعض حالات التنازع ، وعلى ذلك يكون الترتيب التنازلي : نظام الشورى أولا ، ثم التعامل في حالات التنازع ، وأخيرا طاعة ولي الأمر .

الشورى لجماعة المسلمين :

﴿ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [الشورى].

ونشير إلى أن ما جاء من معلومات في الآيات السابقة عن صفات وخصائص جماعة الذين آمنوا يتناسب مع مستوى قدرات وحاجات الإنسان المسلم متوسط الذكاء ، وهم الغالبية العظمى من الناس ، حسب تقسيم مستوى الذكاء الطبيعي للناس، والذين قد تتجاوز نسبتهم أل 90٪ من جملة العينة ، وبهذا تكون هي المؤهلة والملزمة بأن يكون أمرهم شورى بينهم ، وهي صاحبة السيادة والمصلحة والسلطة والقرار .. ، ولا يتناقض ذلك مع وجود وتميز أصحاب القدرات العلمية والعقلية والإدارية .. العالية ، ولا مع من يقول بأن «الحاكمية لله»، بل يتطابق معها.

بعد فترة الرسول محمد ﷺ تكون مسألة شروح وتفاسير الشورى ، وما يمكن استنباطه وتطبيقه ، يخضع لفكر وتفكر وقرار الجماعة.

و عن ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ :

أمرهم : هي الأمور التي تهم كل أفراد الجماعة بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ، والتي تترتب عليها منافع أو أضرار لأفراد الجماعة المعنية ، وعلى رأسها الإطعام من الجوع والأمن من الخوف والعلم والتعلم .. ، وبما أن الدولة الحديثة تشمل ،

بنسب متفاوتة ، مختلف القوميات والقبائل والديانات والعادات والمهن ... وغيرها ، ولكل منهم أمور خاصة به ، ومنها ما يتشارك فيه مع غيره ، وعلى هذا الجانب ، وعلى غيره ، تحدد الأمور ومستوياتها ، وقد يكون من أهم الأمور التي تهم عامة المسلمين في الأرض في هذا الزمان هي الخلافات الدينية والمذهبية والسياسية .. الدامية بينهم ، وبما أنه لا توجد حكومات إسلامية راشدة توفر القدر الكافي من الحريات لبحث ودراسة هذه الخلافات ، فقد تتيسر للمهتمين بهذا الأمر أماكن ووسائل خارج الدول الإسلامية.

شورى : الشورى هي محاولة استخراج المادة أو الشيء المطلوب في حالته النقية من بين أخلاط أخرى ، كما يقال عن استخلاص عسل النحل ، وعلى شكل ومستويات تصنيف الأمور يكون شكل ومستوى التشاور فيها ، وشكل ومستوى نتائج الشورى .

بينهم : حق وواجب على كل أفراد الجماعات المشاركة وتحمل المسئولية في أُمور الجماعة التشريعية والتنظيمية والتنفيذية والتخطيط و الإشراف والرقابة ...، وعلى مثل ما كانت عليه حالة الأمر والشورى ، يكون شكل ومستوى المعنيين بأمر الشورى والمشاركين فيه .

أمرهم شورى بينهم :

من البداية يظهر التركيز على التعامل المباشر مع الأمر ، أو الأمور ، التي تتشارك الجماعة في الاهتمام بها والسعي لإنجازها ، وعلى طبيعة هذا الأمر ، أو الأمور ، يتم وضع النظام والوسائل التي تصلح لتحقيق الهدف ، أو الأهداف ، وفي حالة نظام الحكم يفترض تحديد الأمور والمهام والكيفية التي يتم بها تحقيق الأهداف ، على أن تخضع لنظام الشورى وملحقاته ، وبما أن هذه العناصر متغيرة، فيفترض أن يقابلها تغيير مناظر، بنفس المستوى ، في هيكلة وتصميم نظام الحكم.

الشورى والتشاور المقصود هو مستوى عال من النقاش والحوار المنظم حول الأمور ذات الاهتمام المشترك داخل نطاق الجماعة المعنية ، و الذي يفضي إلى الدراسات وجمع المعلومات و استخلاص أفضل النتائج وطرح ما لا خير فيه واتخاذ القرارات، وبذلك يمكن القول بأن الشورى هي نظام ووس ائل وآلي ات يهدف لجعل صلاحيات التعامل مع الأمور ذات الاهتمام المشترك للجماعة بيد كل أفراد الجماعة ، وهي التي تضع خطط وتصميم نظام الشورى، وتصميم نظام الحكم وتسييره ومراقبته ومراجعته وتطويره ، وهي البديل عن استعمال القوة أو الوراثة أو التسلط والقهر .. ، وهي التي تقرر في خلافات وبدائل فتاوى العلماء وفكر المفكرين .. ، والجماعة هي صاحبة الحق في إعادة النظر في أحكامها وقراراتها السابقة، كما أن نظام الشورى يتكامل مع كرامة وحرية وإرادة الإنسان وخلافته على الأرض، ومع مكونات الرسالة الخاتمة الأخرى.

و يخضع نظام الشورى للأساس والتأسيس العلمي للرسالة الخاتمة ، ولقانون الارتباط المتحرك لمستوى الدين والتدين مع مستوى العلم والتعلم ، وبذلك يتطور نظام الشورى مع تطور قدرات وحاجات الجماعة ، ومع تدرج مراحل المسيرة البشرية . ونظام الشورى بهذا الشكل يوفر أفضل الفرص والبدائل للتعامل مع كل أمور الناس وعلى كل مستوياتها ولكل المجموعات السكانية والبشرية جمعها .

التنازع :

التعامل في حالات التنازع هو المحور الثاني في نظام الحكم في الإسلام ، والتنازع هو شدة الخلاف بين جماعات فيما بينها ، أو بين جماعة أو جماعات مع السلطة وولى الأمر .. ، وقد وجد حظه الأوفى من الاهتمام كأحد الأساسات أو الركائز التي يقوم عليها النظام وكمؤشر أو بوصلة لرشاد أو انحراف نظام الحكم ومكونات الرسالة الأخرى .

قطعت المسيرة البشرية أشواطا في التعامل مع الخلاف والتنازع ، من استحالة التعايش السلمي مع الخلاف بين ابني آدم ، وبين الذين يؤمنون بالله والذين لا يؤمنون في الرسالات السماوية الأولى ، مرورا بالتعايش السلمي الهش في مرحلة الرسالات اليهودية وقد تضاعفت أهمية هذا الجانب في رسالة الإسلام الخاتمة التي تدعو للتعايش السلمي بين كل أديان وأعراق المجتمعات الإنسانية .

طاعة ولي الأمر :

الأمر بطاعة ولي الأمر هو المكون الثالث من نظام الحكم في الإسلام ، ونظام الشورى وولاية الأمر تشمل كل المستويات في الجماعة أو الدولة ، وجاء الأمر في الآية (59)من سورة النساء ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩ ﴾.

معلوم أن الإيمان بالرسالات السماوية يقوم على طاعة الله وطاعة الرسول ، لذلك فإن تكرار توجيه الأمر لجماعة المؤمنين بالرسالة الخاتمة وتذكيرهم بطاعة الله وطاعة الرسول في هذه الحالة ،عندما قررت أن يكون لهم ولى أمر: أن تفرد الطاعة لله والرسول فقط وأن يتحمل كل فرد من الجماعة مسئوليته شخصيا ، كاملة ومباشرة ، فلا طاعة في هذه الحالة لمذهب ولا حزب ولا تنظيم ولا فقيه ولا شيخ ولا زعيم ولا سيد ... ، ثم أضافت الآية طاعة أُولى الأمر بواو عطف تأكيد على دونية مستوى طاعة ولى الأمر وتقييدها بطاعة الله والرسول ، وحصرها فيما لا تنازع حوله مما يعني التعطيل الكلي أو الجزئي وقد يكون الخيار في ذلك للنظام وللجماعة ، وكل ذلك يعنى أن كامل السلطة والصلاحيات بيد جماعة الذين آمنوا ، وهي التي تقرر أن يكون لهم نظام حكم يتأسس على مكونات الرسالة الخاتمة ونظام الحكم فيها ، وأن الجماعة هي التي تضع النظام ووسائل وآليات تسييره وضوابطه .. ، وتتكامل الآيات السابقة مع : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ

وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ ﴾ [النساء] ، ونتج عن هذا التكامل: بعد التأكيد على أن القرآن هو كلام الله مما يشير إلى أن رد الأمر إلى الله في الآية (59) من سورة النساء هو الرجوع إلى القرآن والرسول وأولى الأمر ، وبعد ذلك : ﴿ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾ ، مما يشير إلى أن النظام وولاية الأمر تتضمن مؤسسة ، أو مؤسسات من بينها فرع أو جهاز يحتوي على مفكرين وعلماء للبحث والدراسة والاستنباط .

و نستنتج من « ولى الأمر منكم » أن ولى الأمر أحد أفراد الجماعة ، وهي التي تختاره ، وله ما لهم وعليه ما عليهم ، كما يعني أن ولى أمر المسلمين بعد الرسول محمد ﷺ مسئول أمام الجماعة صاحبة الشأن ، وبذلك يختلف شكل ومضمون ولآية الأمر في عهد الرسول محمد ﷺ المسئول أمام الله سبحانه وتعالى ، وهو صاحب الشأن ، وهذا تأكيد بأن السيادة للجماعة أو الشعب ، وليس لولى الأمر فيها أن يعزم ، بمعنى أن يتخذ القرار ، في حالات التنازع كما كان يفعل الرسول محمد ﷺ .

نظام الحكم بعد الرسول محمد ﷺ

مما تقدم يتأكد لنا حق وواجب الجماعة بعد الرسول محمد ﷺ في تصميم نظام الحكم و تعيين ولا ة الأمر وتحديد صلاحياته م ومراقبته م ومحاسبته م وعزلهم ، وبذلك تكون الجماعة وسلطتها هي الأصل و كل السلطات والصلاحيات الأخرى تابعة لها ، وأن التعامل في حالات التنازع أخطر وأكبر من قدرات ولي الأمر والحاكم ..، ويشير تعطيل صلاحيات ولي الأمر في حالة التنازع بالضرورة إلى وسائل وآليات للتعامل مع الحالات المتنازع حولها ، وأن تشتمل تصاميم نظام الحكم على تفاصيل التعامل في حالة تعطيل صلاحيات ولي الأمر

ووضع البدائل أثناء الفترات الانتقالية.

من أهم مقومات نظام الحكم عند المسلمين بعد الرسول محمد ﷺ نزع سلطة وصلاحيات ولي الأمر في حالات التنازع، والتي قد يكون طرفا فيها ، وقد يتعرض للطرد والمحاسبة ، وبعد الأمر الصارم للذين آمنوا بإفراد الطاعة لله والرسول فقط ، في أول الآية ليتحمل الفرد المسلم مسئوليته الكاملة .. ، جاء الأمر بتعطيل طاعة ولي الأمر في حالات التنازع ، ورد الموضوع المتنازع فيه إلى الله وإلى الرسول ، وتشير حالة التنازع المذكورة وحسمها بنزع صلاحيات ولي الأمر إلى وجود حريات وحراك وحوارات .. ، وما يحتاج له ذلك ويتبعه من ترتيبات ونظام وإدارة وعلماء ومفكرين .. ، وربما أماكن للاجتماعات مخصصة أو عامة ، كما يعني رد الأمر لله والرسول عند المؤمنين بالرسالة الخاتمة أن ما يتوفر بالرجوع لله سبحانه وتعالى ورسوله الأمين يتضمن حلول ومعالجات لكل أشكال وأنواع وأسباب ومستويات التنازع بين أفراد وفرق وطوائف المسلمين فيما بينهم أو مع غيرهم ، كما يشير لحاجة الجماعة لجهاز إداري بقدرات وصلاحيات تمكنه من التعامل مع مختلف أسباب وحالات التنازع ، ومن تولي الأمر ونزع صلاحيات ولي الأمر وعزله ومحاسبته ، ومع أن الأمر بطاعة ولي الأمر جاء مسبوقاً ومقيداً بطاعة الله والرسول مما يعني ضمنياً أن كل ذلك ينطبق على حالة التنازع ، إلا أن النص أضاف بعد الأمر برد الأمر لله والرسول في حالات التنازع تحذيرا آخر بخطوط فاصلة حمراء : ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾، ويشير هذا النص ضمنيا إلى أن عدم التزام ولي الأمر وجماعة المسلمين في حالة تطبيق نظام الحكم في الإسلام بتعطيل ، كل أو بعض ، صلاحيات ولي الأمر ورد الأمر لله والرسول في حالة التنازع على أنه خروج على الأمر الصريح المغلظ الاستثنائي بطاعة الله وطاعة الرسول،مما قد يعني خروجهم من دائرة المؤمنين بالرسالة الخاتمة لجهلهم بما يدعون الإيمان به أو لرفضهم الالتزام بأحد أهم

التعليمات والأوامر الواردة في هذه الرسالة ، لذلك يهددهم بالخروج من الدائرة الأكبر لكل الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ويعملون الصالحات من كل الديانات والملل والنحل : ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأنعام] ، ولإضافة كسب الخير للإيمان يفترض أن تكون بالواو ، ومعلوم أن (أو) تستعمل في حالة البديل ، وقد لا تكون البدائل متساوية ، وفي هذه الحالة هي قطعا غير متساوية ، لذلك قد تكوم (أو) في هذه الحالة إشارة إلى رفع مستوى أهمية عمل الخير لمستوى الإيمان وإضافته له ، ومما يدعم ذلك : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [البقرة] ، مما يعني أن تصنيف جماعة المؤمنين بالرسالة الخاتمة بأنهم من الذين يكسبون في إيمانهم خير والذين يعملون الصالحات مقيد بتنفيذ هذا الأمر ، كما يعني ذهاب عمل المؤمنين بالرسالة الخاتمة للصالحات بغير تنفيذ هذا الأمر هباء منثورا ، وأن الذين آمنوا بالله واليوم الآخر وعملوا الصالحات من اليهود والنصارى والصابئين أفضل حالا وأكثر قبولا عند ربهم من المؤمنين بالله واليوم الآخر والرسالة الخاتمة ويطيعون الله ويطيعون الرسول محمد ولا يلتزمون بتطبيق هذا الأمر ، ويخرج عدم الالتزام بتنفيذ هذا الأمر المؤمنين بالرسالة الخاتمة من دائرة الذين يعملون الصالحات ودائرة الذين يكسبون في إيمانهم خير، مما قد يعني ضمنيا عدم جدوى إيمانهم وطاعتهم لله والرسول في كل الأوامر والنواهي الأخرى الواردة فيها وأن سلبيات ومفاسد محاولات تطبيق نظام حكم إسلامي بغير الالتزام الصارم بهذا الأمر قد تتجاوز ما قد ينجم عنه من خير وأعمال صالحة،لذلك فإن هذا التهديد يؤكد على الإلزام المطلق بتطبيق هذا الأمر، بلا شرط استطاعة ولا غيره من الشروط، كما أن هذا الإلزام المطلق بتنفيذ

الأمر يتجاوز مستوى الإلزام بطاعة الله سبحانه وتعالى وطاعة الرسول محمد ﷺ لأنها نسبية ومقيدة بالاستطاعة : ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [التغابن]، ولأنها لتحقيق مصالح المؤمنين في الدنيا والآخرة ، وقد يكون من بين هذه المصالح ما لا جدوى ونفع فيه أو (و) ما لا يمكن تحقيقه إلا بوجود نظام حكم إسلامي صالح وراشد ، وفي حالات أنظمة البغي والفساد والدكتاتوريات بمسميات إسلامية قد تضيع الحكمة أو الغاية من الأمر بطاعة الله وطاعة الرسول ، وقد يشمل ذلك الزكاة والحج والمنظومة الأخلاقية والعقوبات الشرعية .. غيرهما ، وقد يكون لبعض الطاعات نتائج عكسية كما هي الحال في أنظمة البغي والفساد بمسميات إسلامية، وتلقائيا يتضمن ويقود هذا المستوى الاستثنائي من الإلزام بكل هذه التفاصيل لنظام الحكم الإسلامي والتعامل في حالات التنازع مستوى مناظر للإلزام بمنهج وخطوط سير للمحافظة الدائمة على وحدة المؤمنين بالرسالة الخاتمة وحل نزاعاتهم البينية ، يكاد أن يستحيل خروجهم عليها ،إن كانوا مؤمنين، كما يتبعه ميزان ومقياس لمستوى إسلام ومصداقية وصلاح أنظمة الحكم والجماعات والطوائف والفرق الإسلامية ، ويتضمن إشارة إلى ما قد ينجم عن التقصير والانحراف في تنفيذ هذا الأمر من فساد في الأرض وسفك دماء بمستويات قد تشكل تعديا على المشروع الإنساني والمسيرة البشرية، وهو ما يمكن إضافته إلى ما سبق ذكره عن المتلازمة : استغناء الإنسان يؤدى إلى الطغيان الذي يودى إلى الفساد في الأرض وسفك الدماء، وقد يتناسب مستوى ما قد ينجم من سلبيات ومخاطر عدم الالتزام بتطبيق هذا الأمر مع تدرج مراحل المسيرة البشرية وما يتحقق من تطور مدني وحضاري ومستوى تأثير أنظمة الحكم على الشعوب والتحكم فيها والعلاقات بين شعوب العالم ، وبذلك يتفاوت مستوى تلك السلبيات والمخاطر في العصور الماضية بعد الانقلاب الأموي عنه في هذا

العصر ، وستواصل مستويات الارتفاع بمعدلات متزايدة في المستقبل القريب .

و السؤال الذي يفرض نفسه : لماذا كل هذه الدقة والتفاصيل عن هذا الجانب في مكونات الرسالة الخاتمة وهذا المستوى غير المسبوق ولا المتبوع من قوة إلزام هذا الأمر ؟ وقد يكون ذلك لأن هذا الأمر يشكل ، في هذا الزمان خاصة ، المحور الذي تدور حوله كل أو معظم مكونات ومقومات حياة المسلمين الدينية والدنيوية وانعكاسها على شعوب ودول العالم ، وقد تحتاج بعض جوانب الإجابة إلى أبحاث ودراسات عن أهداف وغايات رسالة الإسلام الخاتمة ومستوى النظام المطلوب فيها ومستويات العلم والتعلم والتحضر والتمدن والعلاقات الإنسانية في مختلف مراحل المسيرة البشرية المتعاقبة بعد الرسالة الخاتمة ، وفوق ذلك قدرها ومكانتها في المشروع الإنساني ، وما قد يترتب على تجاهل هذا الأمر أو التفريط فيه من تبعات وأحكام ، ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾ [المائدة:32] ، وقد يكون في المساواة بين قتل النفس والفساد في الأرض في هذه الحالة التي قد تعني أو تشير إلى مستوى من الصلاحية أو التشريع للإفراد بقتل من تأكد فساده في الأرض في بعض الحالات ، والتي قد يكون منها :غياب دولة القانون أو حماية نظام الحكم للفساد والمفسدين . . .

يصف الله سبحنه وتعالى هذا الأمر بأنه : ﴿خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ وقد يكون مما يعنيه ذلك ، أنه من مصلحتكم العملية في حياتكم الدنيا في هذه الأرض ، كجماعة، لا ترجون ثوابا ولا تخافون عقابا ، أن تعملوا على الالتزام بتنفيذ هذا الأمر ، في جوانبه التنظيمية والإدارية ، لأنه يحقق مصالحكم ويجنبكم الانحراف والفشل والفساد في الأرض على المستوى الذي قد يتعدى قدرات الإنسان الطبيعية على التحمل، وقد يكون منها أيضا : أنه في حال مقارنة هذا النظام مع غيره من الأنظمة قد يكون هو الأفضل.

يشكل حق الجماعة في نزع سلطة ولي الأمر في حالات التنازع أحد أهم أسباب صلاح ورشاد النظام الحكم ، وأحد أهم أركان ومكونات و ضمانات استقامة صراط أفراد وجماعات الذين آمنوا برسالة الإسلام الخاتمة وكما يعلم المؤمنون بهذه الرسالة بأن حجر الزاوية في صلاتهم والتي هي عماد دينهم هو الدعاء باستقامة الصراط وبذلك قد يشكل هذا الحق والأمر للجماعة أحد أهم مقاصد وغايات أحد أهم العبادات عند المؤمنين بالرسالة الخاتمة ، وقد يكون هذا الأمر من أهم الضمانات حتى لا ينزلق ولى الأمر لحالة الاستغناء وما ينجم عنها ، وربط كل ذلك بالإيمان بالله واليوم الآخر ليرفع مستوى أهمية وخطورة الموضوع عند المؤمنين بالرسالة الخاتمة لأعلي المستويات ، كما أن هذا الترتيب والتدرج في مصادر الإلزام : طاعة الله وطاعة الرسول وولى الأمر، والتزام المنهج العلمي والتحلل الأكبر من قانون وجدنا آباءنا وشيوخنا ومرشدينا وسادتنا و حكامنا ... يقولون ويفعلون مما يجنب المسلمين الكثير من أسباب الخلاف والتنازع ويبطل حجج وحيل تمكين أنظمة البغي والفساد ، وفيما تقدم ما يكفي من أسباب ومبررات التهديد بالخروج من دائرة المؤمنين بالله واليوم الآخر لمن لا يلتزم بالتنفيذ الكامل لهذا الأمر من المؤمنين بالرسالة الخاتمة.

جاء في أمر تأسس نظام الحكم في الإسلام : الأمر بطاعة الله وطاعة الرسول ، مما يعنى أن نظام الحكم في رسالة الإسلام الخاتمة يقوم على كل مكونات الرسالة : القانونية والسياسية والاجتماعية والعلمية والتعليمية والتربوية والأخلاقية ... والحقوق والحريات ، وما جاء فيها من معلومات وتعليمات وأمثلة .. ، وهذا بعض من الجانب الدستوري في نظام الحكم في الإسلام الحقيقي ، ولم يُفصل أمر التشريع حدود وماهية الأمر ولا الجماعة ولا نظام وآليات الشورى ، إنما ترك ذلك للجماعة وقانون ارتباط مستوى الدين والتدين مع مستوى العلم والتعلم والطاعة المطلوبة مع الاستطاعة المتوفرة ، على أن يتطور النظام بالممارسة

والتجريب والمستوى المدني والحضاري لحياة الإنسان ومراحل المسيرة البشرية، مما يعني أن نظام الحكم والدستور في حالة تطور وتحديث دائم وهو ما لا يكون إلا بوجود حريات التعبير والنشر وسلطة كاملة للجماعة .

و من ذلك يمكن القول بأن نظام الحكم في الإسلام هو تجميع وتنسيق لجهود الأفراد والجماعات على مختلف المستويات لتحقيق متطلبات وحاجات كل الناس ، ويبدأ بتجميع أفرد الأسرة والأهل والعشيرة ... للبحث والحوار واتخاذ القرارات في أمورهم ، وهذه الوحدات هي صاحبة المصلحة والسلطات التشريعية والتنفيذية .. في نطاق وحدا تهم ، وتتجمع الوحدات في دوائر أوسع وأشمل للتنسيق وتوزيع المهام والصلاحيات ... ، وهكذا تتسع الدوائر لتشمل المنطقة والإقليم ...و سكان الأرض أجمعين ، وبطبيعة تكوين النظام لا توجد مكانة فيه للدكتاتوريات وسيطرة المراكز ولا العزل والتهميش .

و بما أن تصميم نظام الحكم الإسلامي بيد الجماعة ، وأن كل السلطات بيد الجماعة ، و من التشريع الملزم بتعطيل صلاحيات ولى الأمر في حالات التنازع ، وأن الجماعة هي صاحبة السلطة السيادية ، ومع أن هيكل وتصميم نظام حُكم الشورى وولاية الأمر والتعامل في حالات التنازع أمر تشريعي إسلامي ، إلا أنه يصلح ، ببعض التعديل في بعض الحالات ، لكل الجماعات الإنسانية في كل زمان ومكان ، ومن هذا المنطلق يمكن تصنيفه بأنه نظام حكم مدني عند العلمانيين وبدونه لا يكون نظام الحكم إسلامياً عند المسلمين ، أما قيام المسلمين بطاعة الله والرسول ورد الأمر في حالات التنازع لله والرسول فقد يدخلهم في أبواب أكرمكم عند الله أتقاكم ، وإتباع أحسن ما أُنزل إليهم من ربهم ، أما عدم طاعة أنظمة الحكم بمسميات إسلامية لله والرسول وعدم رد الأمر في حالات التنازع لله والرسول فقد يدخلهم في أبواب الذين يؤمنون ببعض الكتاب و يكفرون ببعض ..، والذين فرقوا دينهم ، والذين يحملون الأسفار .. وأصحاب النواصي الكاذبة

الخاطئة ...، و﴿إِنَّ قَوْمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴾ [الفرقان:30] ، ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [المائدة]، ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [المائدة] ، ﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [المائدة] ، ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [المائدة] .

و كل ذلك يشير إلى أن نظام الشورى وملحقاته يقوم على أساس وتأسيس علمي ويعمل على وضع أعلى نسبة من سلطة حقيقية بيد الجماعة ويعمل على تحقيق مصالح كل أفراد الجماعة بما لا يتناقض مع مصالح الآخرين المشروعة ، وأحسب أنه لا في الإسلام ولا في غيره من الرسالات السماوية وجد أمر أو تشريع من الأهمية والتفصيل وقوة الإلزام ما يشابه أو يداني هذه الحالة ، وقد يكون ذلك لأن التفريط والتخاذل في تنفيذ هذا الأمر يؤدي لانحراف نظام الحكم في الرسالة الخاتمة عن مقاصده وبالتالي انحراف وفشل أنظمته التعليمية والاقتصادية والاجتماعية والتربوية والعدلية .. ويمكن لأنظمة البغي والاستبداد والفساد في الأرض ، ولذلك يحتاج هذا النظام لمواصلة البحث والدراسة والتطور الدائم ، والسعي الدائم لتحقيق أعلى مستوى سلطة حقيقية بيد الجماعة مقدور عليه ، لذلك لا يمكن فرضه بالقوة لتعارض ذلك مع تكوينه وآليات عمله وتسييره

وغاياته ، ولنهي الله سبحانه وتعالى عباده عن سيطرة بعضهم على بعض ، ولنفس الأسباب لا يمكن تأسيسه تحت ظل الحكومات الشمولية والاستبداد ، وهو لمصلحة البشر جميعاً من يؤمن بالله واليوم الآخر منهم ومن لا يؤمن ، وفي الالتزام بما ورد عن التعامل في حالات التنازع وأن أمرهم شورى بينهم ما يقفل الأبواب أمام الدكتاتوريات وأنظمة البغي بمسميات إسلامية وأسبابها ومبرراتها ، وفي الالتزام بطاعة ولى الأمر فيما لا تنازع فيه ما يقفل الأبواب أمام الفوضى وأسبابها ومبرراتها.

وعن : ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [الشورى] ، السعي للانتصار على البغي وإزالة أسبابه هو أيضا عمل جماعي يخضع لكل مكونات الرسالة الخاتمة وأساسها وتأسيسها العلمي ، والأساس والتأسيس العلمي لنظام الإدارة العامة والحكم فيها ولنظام الشورى .

مما تقدم يمكننا القول بأن رسالة الإسلام الخاتمة قد التزمت لحد الكمال بالأساس والتأسيس العلمي لتصميم نظام الحكم فيها ، ووفرت له ما يلزم من معلومات وتعليمات ، وأن هذا النظام يتأسس على تعامل الجماعة المباشرة مع الأمور والمواضيع ذات الاهتمام المشترك ويسعى لوضع أعلى نسبة من سلطة حقيقية بيد الجماعة ، ولكنه لا يدخل في تفاصيل ذلك ، بل يتركه للمجهود البشري والتطور ، ويصنف التنازع بين الناس والفساد كأهم المهددات للجماعة ولنظام الحكم وحياة الإنسان ودينهم وأمورهم ، كما يخضع النظام في تطوره لارتباط مستوى العلم والتعلم مع مستوى الدين والتدين، وفي الحديث عن الخلافة الراشدة كأول تجربة لنظام حكم إسلامي لما بعد فترة الرسول محمد ﷺ ، وحتى لا نظلم أنفسنا ولا غيرنا ، علينا أن نعلم بأن مستوى الطاعة المطلوبة يتناسب مع مستوى الاستطاعة المتوفرة.

نظام
الحكم
الأصلح

الباب الرابع
الخلافة الراشدة

بعد رحيل الرسول محمد ﷺ إلى الدار الآخرة تعين على المسلمين الانتقال إلى نظام حكم يتولاه البشر في دولة المسلمين الوليدة ، وكان عليهم محاولة استنباط نظام للحكم بمستوى ما تيسر للعرب في شبه جزيرتهم من علوم ومعارف وخبرات في ذاك الزمان.

كانت محاولة الاستمرار في نظام حكم الرسول محمد ﷺ غير القابل للاستمرار ولا التكرار هي أفضل البدائل المتوفرة لهم، وقد تكون خيارهم الوحيد ، وعلى كل حال كان عليهم تعيين ولي للأمر ، واجتمعوا للتشاور ، وحسم أمرهم الصحابي عمر بن الخطاب بمبايعته لأبي بكر الصديق على أن يسير على طريق الرسول محمد ﷺ ، وكانت هذه هي البيعة الخاصة ، وتبعتها البيعة العامة من كل الحاضرين ، وبذلك أصبحت بيعة وقبول وموافقة عامة ، وهو ما يشبه الاستفتاء في هذا الزمان، وكانت البيعة له بأن يخلف الرسول محمد ﷺ في أمته بنفس المنهاج الذي كان يتبعه ،و لذلك سموه : « خليفة » ، خلافة لرسول الله ﷺ على أمته ، وظهر من البداية عدم وجود طريقة محددة ومتفق عليها لتعيين الخليفة، وتأكد ذلك بوصية الراشد الصديق بتعيين عمر خليفة لنفس الأسباب الموضوعية التي بنا عليها لراشد عمر مبايعته للراشد أبي بكر ، ولكن ذلك لم يدفع عنه اتهامه برد الجميل السابق لعمر، ويبدو أن الراشد عمر أدرك أن نظام تعيين الخليفة بهذه الطرق لم يكن كافيا ولا مأمونا، فوضع خطته لاختيار خليفة من بين ستة مرشحين، ومع أن هذه الخطوة قد تشير إلى محاولة لتطور النظام السياسي إلا أنها تشير أيضا إلى وجود إشكالية صعب عليهم التعامل معها ، كما أن البض وجد فيها ما يدعم نظرية المؤامرة التي بدأها عمر وسار عليها أبو بكر وكررها عمر لمنع تنفيذ وصية الرسول محمد صلى الله عليه بخلافة الراشد على ، وقد يكون تخصيص اسم « الخلافة الراشدة » للخلفاء الأربعة الأوائل : لأنهم الأقرب لمنهج النبوة في السياسة والإدارة والحكم والسلوك الشخصي ، ولأن نظام خلافتهم هي الأقرب

للنظام الدستوري والشرعي، بالعكس من الخلافات والممالك الوراثية والدكتاتوريات الإسلامية بعد الانقلاب الأموي، وعلى ذلك وعلى غيره ، قد يمكننا القول بأن الخلافة الراشدة كانت محاولة جاد لتطبيق نظام حكم الإسلام لما بعد فترة الرسول محمد ﷺ بقدرات أهل ذاك الزمان لتلبية حاجاتهم ، ولكن ذلك لا يمنعنا من محاولا معرفة ما يمكننا معرفته وتحليله بعلوم وقدرات هذا الزمان ، لمصلحة أهل هذا الزمان :

حرص الراشدون الأربعة على كرامة وحرية الإنسان كما كان يفعل رسول الله محمد ﷺ ، وكذلك كان لهم نظام للشورى ،و كان لهم حق اتخاذ القرارات ، وقد يكون نظام الشورى الذي أتبعوه هو أفضل ما تيسر لهم بعلوم وقدرات ذاك الزمان، ولكن بعلوم وقدرات هذا الزمان ، قد يمكننا القول بأنه لا يرجى من نظام الخلافة الراشدة تحقيق نتائج أفضل مما كان بمحاولات الاستمرار في نظام حكم الرسول محمد ﷺ بلا وحي ، كما لا يمكنهم تفادي الفتنة الكبرى التي نجمت عنها ، ومن الأمثلة على صلاحية الخلفاء الراشدين في اتخاذ القرارات وتنفيذها :

تقسيم الراشد أبو بكر لأعطيات المسلمين بالتساوي رغم معارضة البعض ، ومنهم عمر الذي نفذ التفاوت في التقسيم عندما تولى الخلافة ، والذي يبدو أنه ندم عليه في أواخر أيامه ، وما ينسب للراشد عثمان : « إذا كان عمر يتقرب لله بحرمان أهله فإنه يتقرب إليه بالتوسعة عليهم » ، ويبدو أن مستوى تقبل الخلفاء للنقد والمعارضة كان مختلفا ، ويقال أن الراشد عمر كان راضيا ومشجعا لمن قال بأنه سيقوم انحرافه بسيفه ، ويبدو أن الراشد عثمان كان على غير ذلك ، ولكنه أيضا كان على غير ما قال به خصومه.

يحمد لنظام حكم الخلفاء الراشدين التمسك بالحريات العامة، أما صلاحيات الخلفاء في اتخاذ القرارات السياسية والإدارية وتنفيذها منفردا، حتى

في حالات الخلاف والتنازع فيشكل ، بعلوم وقدرات هذا الزمان ،خروجا على نظام الحكم الإسلامي لما بعد فترة الرسول محمد ﷺ ، ويشكل أحد الجوانب الرئيسية في أنظمة حكم الأفراد والدكتاتوريات والملكيات الوراثية، وبإضافة هذه الصفة لنظام حكم الخلافة الراشدة قد يمكننا وصفه ، بمقاييس اليوم ، بأنه : نظام حكم إسلامي أعرج ، ولكن ، بالتزام النظام بالحقوق والحريات لا يمكن تصنيفه بأنه نظاما دكتاتوريا ، لذلك قد يمكننا وصفه بأنه أشبه ما يكون بالدكتاتورية العرجاء ، ونعني بالدكتاتورية العرجاء في هذه الحالة : بأن عدم سعي نظام الخلافة الراشدة ، ولا رغبته في ، مصادرة الحريات ، كليا ولا جزئيا ، والتي تؤهل نظام الحكم ، مع اتخاذ القرارات منفردا ، أن يصنف بأنه دكتاتوريا،و بإضافة هذا الجانب إلى ما يتسبب فيه عدم تقنين طريقة اختيار الخلفاء وولاة الأمر ، تتضاعف وتتطور كل أنواع ومستويات وأشكال النزاعات والخلافات بين الجماعات فيما بينها ومع السلطة القائمة ، ولذلك دخل نظام حكم الخلافة الراشدة في إشكاليات ومتناقضات شديدة الحساسية والخطورة ، وقد يمكن القول بأنها غير قابلة للعلاج بقدرات ذاك الزمان، وفي هذه الحالة الحرجة لم يكن أمام النظام إما التطور لنظام حكم إسلامي دستوري كامل ، وذلك بنزع صلاحيات الخليفة في حالات التنازع ورد الأمر لله والرسول ،أو التحول إلى نظام دكتاتوري كامل بتعطيل الحريات واحتكار السلطة ، والخيار الأول يتجاوز قدرات المسلمين المتاحة في ذاك الزمان ، وأما الخيار الثاني فليس مما يخطر على بال تلك الصفوة من صحابة رسول الله ﷺ ، رضي الله عنهم وأرضاهم.

و هذا بعض مما كأن من أمر الخلافة الراشدة ، والتي أتبعتها تلك الصفوة من صحابة رسول الله ﷺ ، والذين أشرف على تعليمهم وتدريبهم بنفسه ، ويشهد لهم كل مؤمن معتدل ، غير ذي علة ولا غرض :بالإخلاص لله ولرسوله ولجماعة المسلمين ، والله خير الشاهدين : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ

بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ [الفتح]، ولذلك يمكننا القول اليوم بأن الخلفاء الراشدون كانوا صفوة الأخيار ، وأفضل من يمكن توليهم أمر المسلمين بعد الرسول محمد ﷺ،و لو لا أنهم على هذه الدرجة العالية من الخصوصية والتميز ، وأبعد الناس عن : « كل ناصية كاذبة خاطئة » لما تمسكوا بالحريات التي رباهم عليها الرسول محمد ﷺ، والتي تشكل خطرا على نظامهم للحكم وعلى حياتهم ، ولدافعوا عن أنفسهم وسلطاتهم بكل الوسائل ، وبتطبيق القانون الذي يقيد ارتباط مستوى الطاعة المطلوبة بمستوى الاستطاعة المتوفرة ، يمكننا القول بأن الخلفاء الراشدون ونظام الخلافة الراشدة قد التزم بتطبيق هذا القانون لأعلى مستوى مقدور عليه بعلوم وقدرات ذاك الزمان ،و من دروس وعبر نظام الخلافة الراشدة:

تأكد أن أي نقص أو انحراف في الالتزام الكامل بتنفيذ مكونات نظام الحكم لما بعد فترة الرسول محمد ﷺ لا يمكن معالجته بأي شكل أو نوع أو مستوى من الترقيع أو الاستبدال حتى لو كان القائمون عليه على مستوى صفوة صحابة رسول الله محمد ﷺ ،لذلك لا يرجى من غيرهم أن يأتي بنتائج أفضل مما كان منهم،كما أن نظام الخلافة الراشدة ناتج عن مجهود بشري باجتهادات وقدرات ذاك الزمان، لذلك لا يمكن أن تكون ملزمة في هذا الزمان كما يظن البعض ، وقد تباينت واختلفت تلك الاجتهادات ونتائجها مما يجعل السير على طريقها مستحيلا، ومع ذلك تساعد الأبحاث والدراسات عن هذه الفترة في تصميم نظام الحكم الأصلح في هذا الزمان.

الخلافة الراشدة والفتنة الكبرى :

لتفادى الحساسيات المتعلقة بالخلافة الراشدة والفتنة الكبرى وما نجم عنها من حروب وخلافات مذهبية مازالت تتحكم في المجتمعات الإسلامية ، سنحاول أن يكون تناولنا لها على مستويات المسيرة البشرية والمشروع الإنساني ، لأن أهميتها وتأثيرها قد يتعدى الأمة الإسلامية إلي الإنسانية ، ونطاق التاريخ الإسلامي إلى المسيرة البشرية ، كما أنها قد تكون من معالم المشروع الإنساني مثل حالة ابني آدم وما ترتب عليها .

بعد أكثر من عقدين من وفاة الرسول محمد صلى اله عليه وسلم وموت الكثيرين من صحابته السابقين الأخيار ، بدأت تطغى سلبيات النظام على إيجابياته، و تطورت الخلافات والمشاكل المتراكمة بين بعض الأفراد والجماعات مع ولاتها ومركز الخلافة في النصف الثاني من خلافة الراشد عثمان لمستوى التنازع ، وقد عارض استعمال القوى ضد معارضيه ، وقال وهو تحت الحصار عند ما نصحوه بقتال الخارجين عليه : « لا أكون أول من يخلف محمد في أمته بالسيف » ، وما ينسب إليه عندما نصحه البعض بالتخلي عن الخلافة : «لن أخلع رداء ألبسنيه الله » أو « لا اخلع سربالاً سربلني الله » ، وهو يعلم أن خلافته لم تكن مثل سلفيه بتصرف فردي وتعيين شخصي ، بل كانت نتيجة حوارات وحسابات وتمحيص بين ستة مرشحين منهم الإمام علي ، ومع كل ذلك فهو يرى أن الله سبحانه وتعالى هو الذي ألبسه رداء ولآية الأمر أو الخلافة كما ألبس الله سبحانه وتعالى رداء الرسالة للرسول محمد ﷺ ، وذلك تأويل بعيد ومخالف لأمرهم شورى بينهم وسلطة الجماعة ونظام الحكم الحقيقي في الإسلام لما بعد فترة الرسول محمد ﷺ ، ودفع حياته ثمناً له ، مما أدى إلى بداية أحداث ما يعرف في تاريخ المسلمين بالفتنة الكبرى ، وفي خلافة الراشد على كرم الله وجهه ، ومع

حكمته وتميزه وجهاده وقرابته ومصاهرته للرسول محمد ﷺ انتعشت الخلافات وتطورت النزاعات والأحقاد والثارات الشخصية والتاريخية والقبلية بين كل الأطراف بما فيها بعض أتباعه المقربين ، مع أنه كان ملتزما بنظام الحكم الإسلامي وما في القرآن عن التعامل مع الخارجين على النظام وفي حالات التنازع، حتى على مستوى مقاييس هذا العصر ، ولكن الله يفعل ما يريد ولو شاء الله لما فعلوه ، وكان استشهاده على يد أحد أتباعه، وقد لا توجد أسباب موضوعية لتغيير مجرى التاريخ الإسلامي والمسيرة البشرية إذا ما تولى الإمام على كرم الله وجهه الخلافة من بدايتها كما يرى بعض من أتباعه ، وقد نصب بعض أتباعه ابنه الحسن خليفة من بعده، ونسب البعض ، جادا أو هازلا ، لأخيه غير الشقيق عقيل بن أبي طالب القصص عن انضمامه لمعسكر معاوية في حربة ضد الخليفة الرشد على ،و التي منها : أنه تحول لمعاوية بعد رفض الخليفة على كرم الله وجهه أن يزيده من بيت مال المسلمين ، وأن معاوية قال له بصوت عالي عندما اصطفت الصفوف لمعركة صفين : أنت اليوم معنا يا عقيل ، فأجابه ، وقد كان سريع البديهة : « وفي بدر كنت معكم » ، وأنه كان مع معاوية في قصره بدمشق فدخلن عليهم نسوة من أهل بيت معاوية باكيات على قتلاهم في بدر ، فقال لهن عقيل : تجدوهم على شمالكم عندما تدخلن جهنم ، وغير ذلك ، واستغل معاوية حالة الخلاف والفوضى وفقدان الأمن للاستيلاء بالقوة على السلطة ، مما يعد خروجاً كاملاً على نظام الحكم في رسالة الإسلام الخاتمة ، وباستعمال القوة في الوصول إلى السلطة واتخاذ القرارات منفردا وكبت الحريات ،أصبح نظام الخلافة الإسلامية دكتاتوريا بالكامل ، وبإسناد معاوية للخلافة أو السلطة أو المملكة لابنه من بعده أصبح النظام ملكيا وراثيا ، وبذلك انتكس نظام الخلافة الراشدة إلى حكم الفرد والملكيات الوراثية ، وتكونت فرق السنة والشيعة وغيرهم ،و ظلوا كذلك حتى اليوم ، وبما أن نظام الحكم في الإسلام هو المحرك لكل مسيرة المجتمع ، ورأس

القاطرة أو الشاحنة ، فقد انعكس فكر وسياسات وفساد الانقلاب الأموي على كل جوانب حياة المجتمعات الإسلامية ،و من أهم وأخطر الأمثلة على ذلك : تعطيل الخطط الإصلاحية الإسلامية الكبرى بعيدة المدى مثل إصلاح نظام الحكم ، ومحاربة الرق والتي بدأت بالتجفيف الكامل لمنابعه وفتح الأبواب لعتق من وجده منهم ، ونجحوا في ذلك حتى أصبح من المسلمات عند أغلبية المسلمين أن الملكيات الوراثية والدكتاتوريات هي أنظمة الحكم التي أمر بها الإسلام ، وأن الرق مباح في الإسلام ، حتى أجبرتهم العلمانية الغربية على التخلي عنه مكرهين ! ولذلك ولغيره فقد أتباع رسالة الإسلام الخاتمة الحق والقدرة على قيادة المسيرة البشرية ، بل أصبحوا عقبة في طريق تطورها وأصبحوا خطرا على حرية وكرامة ووجود الإنسانية .

و قد نجد من يقول بأن الانقلاب الأموي ضرورة حتمتها الظروف الموضوعية ، ويستدل على ذلك باغتيال ثلاثة من الخلفاء الراشدين الأربعة ، وموت الأعداد الكبيرة من المسلمين في القتال بين مختلف طوائف وفرق المسلمين بسبب النزاعات الدينية والقبلية المتنامية بما أصبح يشكل خطرا على حياة الأمة ووجودها ،و لم يكن لأنظمة الحكم في تلك الفترة كبير أثر على حياة الناس كما هي اليوم ، وظلت الحال كذلك لقرون عديدة تلت ، فهل يمكننا القول بأن الانقلاب الأموي كان تخفيفا على المسلمين للتكلفة النسبية العالية مقارنة مع محاولا قيام الحكم الصالح الراشد ! فخفف الله عنهم مثلهم و: ﴿ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [الأنفال] ، وهل نجد مزيدا من الدعم لذلك في : ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟ وَأَنفِقُوا۟ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [التغابن] ، والله أعلم ، وكما سبق أن ذكرنا فإن الخلاف والتنازع هما المولودان الطبيعيان والشرعيان لحريات الفكر والإرادة التي

فطر الله سبحانه وتعالى عليها الناس، ولهذا ولغيره اقتلع الانقلاب الأموي الحريات ومواليدها من جذورها ، وأقام نظام حكم دكتاتوري وراثي ، وبذلك تجاوز الانقلاب الأموي وأتباعه حتى اليوم إشكالية الدكتاتورية العرجاء التي أوجدها نظام الخلافة الراشدة فاستقامت على ساقين وقدمين مما مكنها من القتال والدفاع عن نفسها والصمود حتى اليوم ، وتجاوز الانقلاب الأموي مشكلة تعيين الخليفة المتجددة بجعلها وراثية ، وبذلك يكون الانقلاب الأموي بتعطيله للحريات والانحراف بنظام الحكم الإسلامي الراشد إلى دكتاتورية وراثية ، قد بدأ مسيرته من مستوى الفساد في الأرض، واستمر متصاعدا مرورا بالفساد على مستوى المسيرة البشرية ، وصولا، في هذا العصر ، إلى الفساد والعبث على مستوى الرسالة الخاتمة والمشروع الإنساني ، وبذلك تجاوز فساد وانحراف المسلمين عن مكونات الرسالة الخاتمة ، وخاصة نظام الحكم فيها ، كل الخطوط الحمراء .

كان للشيعة إبداعاتهم الخاصة في محاولاتهم معالجة نفس المسائل ومعارضة الانقلاب الأموي :بالوصي وولاية الفقيه وغير ذلك بما قد يشبه البديل عن الاستمرار في فترة الرسول محمد ﷺ ، واستقرت على النظام الوراثي كما فعل الأمويون ، واستمرت حالة المسلمين على ذلك حتى اليوم ، لذلك لم يعد ساسة ومفكري المسلمين في حاجة لدراسة وتطوير وسائل وآليات دفع الناس لبعضهم البعض والتعامل مع الخلاف والتنازع ، فضمرت وماتت ، وقد يكون من أسباب نجاح الأمويين أن قياداتهم من طلقاء مكة وأشباههم ، وهم الأقل صحبة للرسول محمد ﷺ والأقل معرفة وتمسكا بالكتاب والسنة ، والأكثر ولاء للعصبية القبلية وأنظمتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية .. .

ما زالت الحركات والتنظيمات والأحزاب بمسميات إسلامية تسير على خطى الانقلاب الأموي وأتباعهم وردود الأفعال المضادة بقوة قانون وجدنا آباءنا

يقولون ويفعلون ، والفشل في طرح بدائل عن الدكتاتوريات والطائفية والعصبية .. وسيف المعز وذهبه .. ، لكل ذلك ولغيره ظلت أسباب وأحداث وآثار الفتنة الكبرى وما ترتب عليها هي العامل الأول والأهم في تشكيل فكر وأنظمة حكم وسياسات قادة وزعماء المجتمعات والجماعات الإسلامية عبر التاريخ الإسلامي وحتى اليوم، و ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾ [البقرة] ، ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾﴾ [الأحزاب] ، وتلك أمة قد خلت لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ، والله يفعل ما يريد لحكمة نعلمها أو نجهلها .

و لتجاوز كل ذلك ، وبعد أن تغيرت الأسباب الموضوعية ، وتدرجت البشرية في مسيرتها ، وتعاني اليوم من آلام مخاض الانتقال لمراحل أكثر تطورا وتعقيدا ، لم يعد يجدي التخاذل والسلبية والتبعية العمياء ، وقد يكون من الأفضل لأنظمة الحكم في الدول الإسلامية رفع مستويات الحريات والأبحاث والدراسات لتواكب التطورات الجارية .

نظام
الحكم
الأصلح

الباب الخامس
الإطـــار

المقصود بالإطار هنا هو الهيكل والقالب العام والمعطيات التي تشكل طبيعة وخصائص المرحلة التي تمر بها مسيرة حياة الإنسان على الأرض ، ومن مكوناته : المؤثرات الكونية ، المراحل السابقة والتالية للمسيرة البشرية ، ومستوى تطور العلم والتعلم وحقوق الإنسان... ، وعلى قدر دقة وتفاصيل معرفة هذه العوامل وكفاءة تفعيلها في تصميم نظام الحكم تكون صلاحية ورشاد النظام .

المؤثرات الكونية :

مع أن العوامل والمؤثرات الكونية هي الأكبر أثراً في حياة الإنسان على الأرض إلا أنه لم تكن للإنسان حيلة فاعلة تجاه أشعة الشمس وتضاريس الأرض واتجاه وسرعة الرياح ونزول الأمطار ومجارى الأنهار.. ، لذلك لم يكن لها حظ كبير من الاهتمام في الماضي ، إلا أن هذه الحالة آخذة في التغيير بعجلة مت سارع ة ، فنشاطات الإنسان أدت إلى ثقب الأوزون والاحتباس الحراري ، والتطور الكبير في التحكُم في مجارى الأنهار المُصاحب لزيادة السكان وزيادة استهلاك المياه العذبة قد يؤدى إلى التعاون الدولي في تطور وسائل استخدامها ورفع كفاءة الاستفادة منها أو إلى حرب مياه أو استعمالها كوسيلة ضغط لتحقيق مصالح اقتصادية أو ميزات سياسية وعسكرية ، وكما يُقال عن مشاركة إسرائيل في بناء سد الألفية الإثيوبي للتحكم الدائم في مصر والسودان ، مما يجعل دول حوض النيل الأزرق بين خيارين : الصراع والحروب أو التعاون والتكامل ، والمتغيرات الجارية تجعل الخيار الثاني هو الخيار الأوحد ، فأسباب قيام دولة خاصة باليهود لحمايتهم من الآخرين في طريقها إلي الزوال وكذلك المفاهيم الضيقة للعنصرية والقومية والحدود السياسية .. ، ولم يعد الاعتداء على حياة وأراضي وممتلكات الآخرين مقبولاً ، ومن الجانب الآخر تدعو الحاجة دول حوض النيل الأزرق كوحدة سكانية وجغرافية لابتكار وسائل وإدارات وعلاقات جماعية صالحة وعادلة للاستغلال الأمثل للمياه والأراضي والقوى العاملة والثروة كشق قنوات كبرى لري كل المقدور عليه من أراضى السودان في موسم الخريف .

وهذه من بين الأسباب التي ستؤدي لارتفاع أهمية المؤثرات الكونية في تصميم أنظمة الحكم في المستقبل .

المجتمع المدني :

تتكون المجتمعات المدنية الفاعلة عند المسلمين والعلمانيين ، بعلمهم أو بدونه وبموافقتهم أو بدونها ، وقد يكون لها تأثير مباشر وغير مباشر في تشكيل الحكومات وتسييرها وتغييرها ، كوجود الأحزاب في النظ ام الديمقراطي والتي تحتاج إلى محترفين ومخ ضين متفرغين ومعاونين... لهم مصالحهم ويمكن تسخيرهم لخدمة مصالح آخرين كما يمكنهم التأثير في الاتجاهات العامة للأمة ، كما توجد جماعات الضغط والتكتلات العرقية والدينية والثقافية والاقتصادية وأصحاب المصالح ... ، وقد كان تأثير كل ذلك في حدود قدرات احتمال أنظمة الحُكم الديمقراطية ، أما بعد وجود التكتلات المالية الهائلة والانفجار الكبير المُتنامي في علوم وتقنيات وسائل النقل و الاتصال والنشر والمعلومات .. ، أصبح لبعض الجماعات والتكتلات والأفراد وسائل ضغط تفوق قدرة احتمال القيادات والحكومات المكونة وفق آليات النظام الديمقراطي الحالية المبنية على اختيار ممثلين للمواطنين وتكوين الأحزاب الفائزة للحكومات وكل ذلك بلا رقابة شعبية فاعلة .

تكاد تتساوى أنظمة الحُكم بمسميات إ سلامية بمختلف أشكالها الحزبية والتنظيمية والدكتاتورية و الوراثية والعسكرية ... في ممارس ة شتى أنواع الاستلاب لإرادة وحريات وأموال وحياة مواطنيها ، وحتى المجتمعات المدنية التي تتكون في ظل هذه الأنظمة غالباً ما تكون تابعة لأذرع النظام و تسعى لتحقيق مكاسب لأشخاص أو جماعات أو أفراد منتسبين للنظام أو بقصد التضليل .

لذلك يمكن القول بأن وسائل تحقيق أهداف الدولة الحالية ــ الحكومة والمجتمع المدني ــ لم تعد قادرة ولا كافية لتحقيق حاجات المواطنين في الأنظمة بمسميات إسلامية ولا في الديمقراطيات العلمانية الغربية .

الإنسانية :

أصبحت وحدة الجنس البشرى في هذا العصر من المُسلمات عند ال بعض ، وأن وحدة مصيرهم في المستقبل ستكون أيضاً من المُسلمات ، وسيكون التعامل مع الإطعام من الجوع والأمن من الخوف والتعليم .. على هذا المستوى الإنساني العام ، وسيتبع ذلك بالضرورة تحولات من السياسات والإدارات الوطنية والقومية والإقليمية في استعمال الموارد والقدرات إلى التعامل على المستوى الكوني لتحقيق الاستخدام الأمثل للموارد والقدرات لمصلحة الإنسانية ، وسينعكس ذلك على مفاهيم القومي ة والأوطان والدول والأقاليم والحدود السياسية . . .

في تناولك لصفات وخصائص الإنسان نعتمد على ما جاء في القرآن الكريم وهو ما يرضى المسلمين ولا يضير الآخرين ، ومن ذلك أن الإنسان : خ لق ظلوماً ، جهولاً ، هلوعا ، جزوعا ، ليس له عزم ، أُحضرت الأنفس الشُح والإنسان يطغى أن رآه استغنى ... ، وقد يكون بسبب هذه الخصائص أن الله سبحانه وتعالى يُضاعف الحسنة بعشرة أمثالها وأكثر ، وأن السيئة بواحدة ، ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ [الأنعام] ، ومع ذلك يدخل أكثر الناس النار .

قص القرآن الكريم القصص وضرب الأمثال عن الأمم السابقة و الأفراد والرُسل والطغاة وغيرهم ، وأن أبا البشر ورسول الله آدم ﷺ وزوج ته كانا في الجنة وكل أشجارها مُباحة لهما عد ى شجرة واحدة، وبذلك انحصر أمل الشيطان في إخراج عدوه من الجنة بعصيان هذا الأمر الوحيد ، وأخيرا نجح كما

مر بنا بفرية شجرة الخلد والملك الذي لا يبلى ، فأكلا من الشجرة المحظورة ، ونحن لا ندرى مقدار الزمن بين حظر الأكل من الشجرة وارتكاب الفعل المنهي عنه حتى نتصور العلاقة التناسبية بين الزمن وضعف العزم ، ونكتفي بالعلاقة التناسبية بين العقوبة المتوقعة لمخالفة الأمر وهي الخروج من الجنة والبقاء فيها بطاعة الأمر ، وبالأعداد المهولة من الأشجار المُباحة مقارنة بالشجرة الواحدة أو النوع الواحد من الأشجار المحظورة في محاولة تقديرنا لمستوى ضعف الإرادة الفطري لعزم أبي البشر وأبنائه من بعده .

و علينا البحث في الأسباب التي تؤدى إلي استغناء الإنسان وطغيانه .. ، والتي منها : الجهل ، السلطة ، المال ، القبيلة ، الطائفة ، الحزب ، العصابة .. ، وفي حالات الدكتاتوريات الإسلامية تتجمع كل أسباب الاستغناء في الحاكم وأعوانه وسياسات التمكين ، ومما يزيد من استغناء الحاكم وشدة تمسكه بالسلطة : مصادرة حرية الآخرين في التعبير والنقد والاعتراض .. ، و مستوى ونوعية السلطة وقوتها وطول المدة لأنها تضعف العزم وتقسي القلوب ، ومستوى تعليم وتمدن ورشاد المواطنين ، ومنها الخضوع لقانون وجدنا آباءنا يقولون ويفعلون .. .

و على المجتمعات الإنسانية التعامل مع صفات وخصائص الإنسان بجدية وعزم لتقدير مستوى السلطة والصلاحيات والمدة الزمنية الآمنة لفترة التكليف والضوابط والرقابة المطلوبة ، وذلك لمصلحة الحاكم والمحكوم ، ويحمد للديمقراطيات الغربية أنها قطعت أشواطاً في ذلك ، على العكس من المسلمين الذين يحملون الرسالة الخاتمة و الأسفار ، وقد تكون مدة الستة سنوات هي الأنسب لفترة التكليف في المسائل العامة على كل المستويات .

***

حقوق الإنسان :

برسالة الإسلام الخاتمة تحققت للإنسانية قفزة كبرى إلى الأمام في حقوق الإنسان ، ولكن قيام الدكتاتوريات الإسلامية واتخاذ المسلمين القرآن مهجورا أدى إلى فشلهم في تطبيقها ونشرها وتطورها ، وأخيراً تداركت الإنسانية بعض من هذا الخلل وأصدرت الأمم المتحدة إعلانها العالمي لحقوق الإنسان ، ولكنه أيضاً لم يلق الترحيب والتطبيق اللائق في كثير من دول العالم وخاصة الإسلامية .

و في العقود الأخيرة بدأت حقوق الإنسان في اكتساب المزيد من الأهمية بوتيرة مُتسارعة خاصة في الديمقراطيات العلمانية الغربية ، مما يشير إلى أنها ستكون عاملاً حاسماً في السياسات والمعاملات المحلية والدولية في الم ستقبل .

الديمقراطية الغربية :

يمكن تصنيف الديمقراطية الغربية على أنها مجهود إنساني ينبني على علوم وتجارب وخبرات الإنسان لتأسيس دولة المواطنة والقانون ، ولتصميم أنظمة للإدارة والحكم تسعى لتوفير الضمانات لحرية وكرامة وحقوق الإنسان وتتجاوز الأنظمة الدكتاتورية والملكيات الوراثية وتتفادى الفوضى وسيطرة العوام ، وبتمسكها بحرية وكرامة الإنسان تكون قد حققت جانبا هاما من مرتكزات المشروع الإنساني ، وقد يكون بركليس في خطبته المشهورة ، قبل قرون من ميلاد رسول الله عيسى ﷺ،خير من يصور مستوى تطور ديمقراطية أثينا وطموحاتها : « .. تسمى حكومتنا ديمقراطية لأنها في أيدي الكثرة دون القلة ، وأن قوانيننا تكفل المساواة في العدالة للجميع .. ، وأننا نتيح الفرص للجميع .. ، وأننا نرحب بالموهبة ونكرمها لما تتمتع به من تفوق .. ، ونطيع رجال الحكم والقوانين خاصة التي تحمي المظلوم ، ونستخدم الثروة لأداء الخدمات وليس للغرور والمباهاة .. ، وإذا كانت قلة منا هي التي ترسم السياسات فانا جميعا نستطيع الحكم على هذه السياسات .. ، وأن النقاش هو الذي يوفر المعلومات اللازمة

لتنفيذ الأعمال .. » ، هذا بعض ما ينسب لبركليس أو ما وضع على لسانه، مما يشير إلى ما يمكن أن تحققه بعض العقليات المميزة عندما تتوفر الحريات وأنظمة الحكم الصالحة .

تجاوزت العلمانية الأوربية جهالات وسيطرة الكنيسة للخروج من العصور المظلمة وأنظمة الحكم الاستبدادية الفاسدة ونجحت الديمقراطيات العلمانية الغربية في إعادة تصميم أنظمة الحكم والإدارة والقوانين .. ليجارى التحولات الجارية ، فأكدت على حرية وكرامة مواطنيها وحقوقهم وبذلت الجهد للتعامل بعقلانية وحكمة لما يتولد عن ذلك من خلافات وتنازع فوفرت نظام المجالس النيابية الدورية وتبادل السلطة وحرية تكوين الأحزاب ونظام الاقتراع الحر وفصلت بين السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية ، ونجحت في وضع المزيد من السلطة الحقيقية بيد الشعوب ، ولكنها فشلت في استيعاب مواطنيها من الأقليات خاصة اليهود ، وكانت تعاني من عقدة الخوف من الفوضى وحكم العوام ، وظهر ذلك في ديمقراطية بريطانيا وبعض الدول الأوربية المخلوطة بالملكية والصفوة الوراثية ، ولم تنج منه أمريكا ، ومع ذلك ظهرت قوة الحسم في النظام الديمقراطي الأمريكي في حرب تحرير العبيد ، وظهرت مرونته في التعامل مع الخمر والعنصرية ، ولكنه عجز عن اتخاذ قرارات مصيرية لحسم النازية والفاشستية في مهدها، وتجاوزت سلبيات الاستلاب الجزئي المستهدف لإرادة الأمة في أنظمة الديمقراطيات الغربية حد الأمان بعد التغيرات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والإعلامية الكبرى التي تجري في العالم في العقود الأخيرة مما أدى إلى تعارض مصالح بعض الأفراد والأحزاب والمنظمات السرية وجماعات الضغط مع مصالح الدولة ، وظهر أن لبعضهم من الإمكانات والقوة ما يفوق ما لدي الحكومات وشعوبها ، ومن الأمثلة على ذلك شن الحرب على عراق صدام وتدميره على الرغم من معارضة الشعوب الغربية التي يقال أنها تجاوزت

نسبة أل 70٪ ، أما محاولات تطبيق نظام الحكم الديمقراطي الغربي في بعض الدول الإسلامية مثل السودان ، فقد تحولت إلى استلاب طوعي شبه كامل لإرادة الأمة ، وقد لا تتجاوز السلطة الحقيقية بيد الشعب 1٪ ، ومع ذلك ، وبما أنها مجهود بشري ولا يدعي الكمال والقدسية ، فلا يجد التطرف والصراع الديني الظروف المناسبة إلا في حالات نادرة.

الإسلام السياسي الحديث :

قد يشتمل الإسلام السياسي الحديث على كل محاولات إعادة نظام الحكم تحت المسميات الإسلامية في بلاد المسلمين بعد سقوط الخلافة العثمانية ، وقد ظهرت بعض النظريات والجماعات التي تسعى لتحقيق هذا الهدف خاصة بعد غزو العراق والربيع العربي ، ويمكن القول بأنها جميعا فشلت أوفي طريقها إلى الفشل بنسب متفاوتة .

تعد مساهمات الدكتور الشيخ حسن الترابي عليه رحمة الله من أكبر المساهمات، إن لم تكن أكبرها على الإطلاق ، في فتح الأبواب للدراسة والبحث والمقارنة النظرية والعملية في قضايا الإسلام السياسي الحديث ، كيف لا ، وهو العضو القيادي المميز في جماعة الإخوان المسلمين السودانية والعالمية ، وهي الجماعة الأكثر اعتدالا وانتشارا وحداثة وتنظيما وقبولا .. ، وهو العضو القيادي الأشهر محليا وعالميا وعلميا وسياسيا .. ، والأكثر نجاحا وتوفيقا .. ، وقد تمكن تنظيمه خلال بضعة عقود من استلام السلطة منفردا في السودان .

بشجاعته وصراحته ، أصبحت كتابات وأفكار ونظريات وسياسات وخطط وفتاوى وتراث وشهادات .. الشيخ الدكتور حسن الترابي وما ترتب عليها ، عمليا ونظريا ، في حياته وبعد موته ، أصبحت كنزا إسلاميا وإنسانيا للأفراد والجماعات التي تبحث عن معالجات لحالات الخوف والتصدع والانهيار والانفلات .. التي انطلقت من بلاد المسلمين لتهدد العالم أجمع . وقد تكمن الإجابة في جانب منها في

أنظمة وطبيعة تكوين الجماعات الإسلامية ، ومنها جماعة الإخوان ، والتي تتأسس على نظام الطاعة في المنشط والمكره ، ونظام خاص للشورى يكون القرار فيه للرئيس والنخبة ، وتناقض ذلك مع ما سبق أن أفتى به وأعلنه الشيخ حسن من أن الشورى ليست لأهل الحل والعقد فقط ولكنها لعامة أفراد الشعب ، وتأييده لمبدأ الاستفتاء الشعبي في حسم بعض الخيارات والخلافات ، مما قد يعد نقلة نوعية في محاولات تجاوز مرحلة الانقلاب الأموي والدكتاتوريات الإسلامية ، ولكنه بتبنيه لسياسات التمكين لنظام حكمه ، وهو المرادف في هذه الحالة للاستغناء الذي يؤدي للطغيان كما تأكد بعد ذلك ، ويقوم على احتكار الحرية والتنظيم والتجمع والقوة والثروة والسلطة والإعلام ... لجماعته وحرمان الآخرين عنها ، وبذلك يكون قد سار في الاتجاه المعاكس بزاوية 180 درجة عما جاء في القرآن عن الاستغناء وما يترتب عليه ، وعما سبق أن أفتى به ، وهكذا أدخل نظام حكمه والسودان في دوامة قد يصعب الخروج منها بغير الارتفاع لمستوى نظام حكم الإسلام الحقيقي أو الانتكاس للعلمانية الغربية وفصل الدين عن الدولة كما فعل الإنجليز في السودان بعد تدمير نظام حكم المهدية .

الراجح أن الشيخ الدكتور قد اتخذ قرار التمكين لإزاحة الجيش النظامي والختمية والأنصار عن المشهد السياسي في السودان، وبذلك يكسر الحلقة المفرغة : ديمقراطية طائفية ، ينقلب عليها العسكر ، ينتفض عليهم الشعب ، وعودة للديمقراطية الطائفية ، وبعد ذلك يؤسس الشيخ الدكتور لنظام حكم إسلامي دائم في السودان يوفر له الاستقرار الذي يحتاجه ، ويحمد له أنه قد حقق نجاحا معتبرا في ذلك ولكن أفسدته السلبيات غير المحسوبة للتمكين، والفشل في التعامل مع الخلاف والتنازع ، وما كان يرجى أن يأتي بنتائج أفضل مما كان ، مثله وكل المحاولات المماثلة المبنية على مستوى الفكر التقليدي البسيط الذي لا يراعي التطور العلمي والمدني والحضاري الذي حققته البشرية بعد نزول الرسالة

الخاتمة وحتى هذا العصر ، ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها ، والله لطيف لما يشاء ويختار .

و بما أن الشيخ الترابي بنا سمعته وشهرته كمفكر أكثر منه سياسي ، لذلك فهو يتحمل ، أيضا ، تبعات تناقضاته الفكرية ، والتي قد تكون أجبرته عليها ضرورات الواقع العملي السياسي ، وبذلك قد يكون الشيخ الدكتور حسن الترابي من أبرز العلامات للتأكيد النظري والعملي على خطورة الجمع بين القيادتين : الفكرية والسياسية لغير الرسول محمد ﷺ ، كما أصبحت تجربته من العلامات المميزة ، والتأكيد على فشل كل أشكال ومستويات محاولات ترقيع وإصلاح نظام حكم الانقلاب الأموي وما تمخض عنه، ومن ثم لا بديل عن توحيد الجهود للعودة لنظام الحكم الحقيقي في الإسلام ، وإذا تحقق ذلك ، سيصبح الشيخ الدكتور حسن الترابي من العلامات الفارقة في التاريخ الإسلامي .

نظام الحكم الإسلامي والديمقراطية الغربية :

من الطبيعي ألا يجد نظام الحكم في الإسلام الاهتمام اللائق من الباحثين والأكاديميين المسلمين في بلاد المسلمين لأسباب معروفة ، ولكن المستغرب أن يجد نفس المعاملة من الغربيين مقارنة مع وجده الإعجاز العلمي في القرآن في عوم الطبيعة والأحياء والفلك وغيرها ، ولكن ، وبحكم الظروف والضرورات القاهرة ، سيجد نظام الحكم في الإسلام حظه الوافي في القريب العاجل ، وسيتأكد أيضا تفوقه وإعجازه .

نظام الحكم في الإسلام هو أحد مكونات رسالة الإسلام الخاتمة ، ويتكامل معها ، ومع المشروع الإنساني والمسيرة البشرية ، وقد يكون بمثابة الرأس لبعض الأعضاء ، وعليه قيادة حركة سير المجتمع وتطوره ، ويتأسس على أعلى مستوى مقدور عليه لارتباط مستوى العلم والتعلم مع الدين والتدين ، لذلك فهو يشارك العلمانية والديمقراطية الغربية في علوم وتجارب وخبرات الإنسان ويتميز عنها

بالوحي الإلهي ورسالة سماوية ورسول من الله سبحانه وتعالى ، وفلسفة نظام الحكم مبنية على التركيز المباشر للتعامل مع الأمور ذات الاهتمام المشترك للجماعة ، لذلك يفترض أن يتشكل هيكل وتصميم النظام أو الحكومة بما يتناسب مع طبيعة تلك الأمور ووسائل تحقيق الأهداف ، وبحكم تكوينه يفترض أن يسعى للتطور الدائم للنظام ولتحقيق أعلى سلطة حقيقية مقدور عليها بيد الجماعة ، ولكن الواقع التاريخي والمعاصر قد يكون على العكس من ذلك ، مما يشكل خروجا صريحا على تعاليم الرسالة الخاتمة ، وعلى الرغم من تفوق هذا النظام نظريا على كل أنظمة الحكم الأخرى إلا أن الانحراف والضعف والقصور في تصميمه وتنفيذه قد يؤدي إلى سلبيات وكوارث غير محسوبة ، وصراعات دينية بين مؤيديه ومعارضيه وذلك لافتراض كماله وقدسيته عند البعض أو فساده وخروجه على الدين عند آخرين ، ومع ذلك يملك منفردا المقومات الكافية لإنقاذ العالم من معاناته الحالية والانتقال به للمراحل التالية في المسيرة البشرية .

الديمقراطي الغربية هي نظام الحكم في الفلسفة العلمانية ، الناجمة عن المجهود البشري والخبرات العملية للإنسان وفكر المفكرين ، وتتأسس على المنافسة بين الأحزاب الممثلة لمختلف الطبقات الاجتماعية والتيارات الفكرية والسياسية ، واختيار الفائزين في المنافسة والاقتراع الحر كممثلين عن الجماعة أو الشعب وتكوين الحكومات ، لذلك فهي تنقاد لحركة سير المجتمع ، والتي قد تتحكم فيها الظروف وبعض الأفراد والجماعات والاتجاهات والانحرافات ، ولا يسعى النظام لتحقيق أعلى سلطة مقدور عليها بيد الجماعة أو الشعب، ولا يستطيع فعل ذلك ، وقل أن يسعى للتطور والتحديث ، ويحسب عليها الفشل في تفادي الحربين العالميتين والحلول المتطرفة للمسألة اليهودية : الإبادة ودولة عنصرية في فلسطين ، لذلك ، ولغيره ، يصعب عليها منفردة الخروج من الأوضاع المتفجرة في عالم اليوم ، ومع ذلك يحسب لنظام الحكم في الديمقراطية الغربية أنه

يكاد أي يكون واضح المعالم والشكل والأبعاد أما أنظمة الحكم بمسميات إسلامية فيمكن أن تجتمع فيها كل أشكال وألوان ومستويات أنظمة الحكم التاريخية والمعاصرة .

الراجح أنه مع التطور والتغيرات الكبرى الجارية سترتفع حاجة النظامين للتعاون والتكامل وتطوير بعض الوسائل والآليات لمصلحة البشرية ، بما في ذلك تطوير الأمم المتحدة في المستقبل لما يشبه الحكومة العالمية ، وقد يصلح نظام الحكم الإسلامي الحقيقي كبديل للديمقراطية الغربية ولكنها لا تصلح بديلا عنه للمجتمعات الإسلامية ، ولما توفره الديمقراطية الغربية من بعض الحريات قد تصبح أخف وطأة على الدول والمجتمعات الإسلامية من نظام الحكم الإسلامي المنحرف والمنقوص ، وقد يكون التطور والانتقال من النظام الديمقراطي الغربي إلى نظام الحكم الإسلامي الحقيقي في هذا العصر في الدول الإسلامية ، أكثر أمننا ويسرا من التطور والانتقال من الممالك والديكتاتوريات وأنظمة الحكم بمسميات إسلامية .

المسيرة البشرية :

قد يشكل ما يحدث من أنواع ومستويات الفساد في الأرض اليوم وعجلات انتشاره وتسارعه تهديدا على مستوى المسيرة البشرية والعبث على مستوى المشروع الإنساني ، وعلى ذلك يفترض أن تكون مستويات البحث والدراسة والمعالجات.

في تناولنا لماضي المسيرة البشرية يكون تركيزنا على الفترة بعد رسالة إبراهيم عليه السلام وحتى النهضة الأوربية أواسط الألفية الثانية الميلادية ، وعن حاضرها : ما بعد النهضة وحتى بدايات الألفية الثالثة ميلادية ، والمستقبل بعد بدايات الألفية الثالثة وحتى يظن أهل الأرض أنهم قادرون عليها ، كما سنذكر بعض الشيء عن الارتباط بين محور العلم والتعلم ومحور الدين والتدين .

ماضي المسيرة البشرية :

في كتابنا المطبوع : «مستقبل البشرية رؤية إسلامية » تحدثنا عن ماضي وحاضر ومستقبل المسيرة البشرية وبعض القوانين التي تحكمها ، وعن اليهود كأحد أهم العوامل تأثيراً في المسيرة البشرية ، ومن ذلك ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِي ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾﴾ [الإسراء] ، ومن علامات فسادهم الأول رفضهم لرسالة عيسى ﷺ ومعارضته بقسوة وعنف وزعمهم بأنهم قتلوه ، وقد قضى الرومان ببالغ القسوة والعنف على فساد اليهود الأول حيث نفذوا انتحارهم الجماعي الأكبر والذي قد يكون الأشهر والأكثر عنفا وقسوة في تاريخ البشرية ، وكان ذلك في القرن الميلادي الأول ، وما جاء عن فسادهم الثاني المقترن بعلوهم الكبير المذكور في الآيات السابقة هو الذي يشكل أحد أهم مكونات حاضر المسيرة البشرية .

و لم تحدث تغيرات مؤثرة في هذه الفترة على مستوى ارتباط محور العلم والتعلم مع محور الدين والتدين على الرغم من الانتقال من تكرار إرسال الرسل عند بني إسرائيل إلى ختم الرسالات السماوية ، والانتقال من الارتباط الثابت إلى الارتباط المتحرك في الرسالة الخاتمة، وذلك لأسباب منها : استمرار البساطة والعشوائية في تطور ونشر العلم مما أدى لانخفاض مستوى عجلة تسارع التطور العلمي والمدني والحضاري وانخفاض مستوى تأثيره على حياة الناس ودينهم وتدينهم .

حاضر المسيرة البشرية :

جاء في سورة الإسراء عن اليهود : ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ ﴾ ، وهذا يشير إلى رد كرة اليهود على أحفاد الرومان والعلو والسيادة عليهم ، وهو ما يحدث حالياً في أمريكا وأوربا .

عرض اليهود الدعم لألمانيا المنتصرة في بدايات الحرب العالمية الأولى مقابل إقامة دولة لهم في فلسطين ، رفض الألمان العرض لرفض حليفهم الخليفة العثماني ، قبل الإنجليز المهزومين عرض اليهود مكرهين، شارك اليهود بمختلف الوسائل حتى تحقق النصر على الألمان ، ولم يكن الإنجليز في عجلة لتنفيذ جانبهم من الالتزام بقيام الدولة اليهودية .

وجد الزعيم النازي هتلر ضالته في اليهود كمبرر لهزيمة ألمانيا التي لا تقهر ، مما جعلهم كبش فداء مقبول ، وسامهم سؤ العذاب قبل وأثناء الحرب العالمية الثانية ، وأوقد نار المحرقة لإبادتهم فيما سماه بالحل النهائي للمسألة اليهودية تحت سمع وبصر العالم أجمع بمن فيهم حلفاء الأمس الذين وجدوا من يخلصهم من تبعات ورطة تعهد من لا يملك لمن لا يستحق ، وقد يكون هذا الجانب الذي نال رضاءهم هو الذي صرفهم عن مخططات هتلر العدوانية المعلنة في خطبه وفي كتابه « كفاحي » ، وقد نال قبول وبركات الفاتكان وتعاطف الكثيرين من الرأسماليين والصناعيين في أمريكا وأثنى عليه تشرشل وتمنى قيادة لبريطانية بقوة فكر وإرادة هتلر في العام 1938 م ، وفي العام 1939 م عقد ستالين روسيا الاتفاقية التي مكنت هتلر من شن الحرب على فرنسا والدول الغربية ، وبالطبع رحب العرب والمسلمون بمن يخلصهم من وعد بلفور ، وهكذا اتفق الجميع على التخلي عن اليهود ، وغض النظر عن إبادتهم ، وذهبت أدراج الرياح أحلام مكاسب اليهود من الارتزاق والمتاجرة بالحروب والأنفس البشرية ، وكان ذلك درسا قاسيا لهم ، فقد تأكدوا بأن اتفاقيات المرتزقة مع المهزوم المضطر حبر على

ورق ، ووجدوا أنفسهم بين خيارين : الاعتبار بما حدث واستنباط نظام ووسائل لحياة أمن وسلام وتكامل مع الآخرين ، أو تصنيف الجميع بأنهم أعداء والبحث عن نقاط ضعفهم ووسائل التحكم فيهم لتحقيق مصالحهم ، ووقع خيارهم على البديل الثاني .

شاركوا في الحرب العالمية الثانية مع حلفاء الأمس ولكن على أسس مختلفة ، وحققوا نجاحات تليق بعبقريتهم ، حتى أصبحت لهم اليد العليا في كثير من دول العالم ، وانطلقت عندهم شهوات الانتقام والسيطرة والاستيلاء على أراضي العرب والمسلمين مما أدى لردود الأفعال من الضحية ، وانطلقت من معاقلها غرائز وآليات المقاومة والانتقام والتدمير .. ، وبدأت الدول الغربية تدفع الثمن المر لإقامة دولة يهودية على أرض فلسطين العربية .

بعض ضربة ابن لادن لأمريكا في سبتمبر صرح السيد بوش : بأن أسبابها هي ما يقع على الفلسطينيين من ظلم وأنه سيرفع هذه المظالم ، فأسكته السيد شارون بقوله « إسرائيل لن تكون تشيك سلوفاكيا » ، وبعد ذلك ظهر للسيد بوش بأن المعلومات والسلطة الحقيقية في النظام الديمقراطي الذي كان يقدسه ليست بيد الرؤساء والحكومات المنتخبة من قبل الشعوب ولكنها بأياد خفية لآخرين لم يكن يعلمهم ، وعلم ما لم يكن يعلم عن مواطن الضعف المخل في الدولة العظمى التي يحكمها ومواطن القوة الكامنة عند السيد شارون وبني جنسه التي لم يكن يعلمها ، ولم يكتف السيد شارون بتعطيل وعد رئيس أكبر وأقوى دولة في العالم برفع بعض المظالم عن الفلسطينيين ، بل دفع السيد شارون السيد بوش الابن لغزو العراق وتدميره وقتل صدام وأبنائه بسبب أل 25000 دولار التي وعد بها ونفذها السيد صدام لأسرة كل فلسطيني يفجر نفسه لقتل اليهود ، وهكذا ظهر للعلن فشل وفساد وجهل الدكتاتوريات التي تحكم العرب ، وظهرت معه اليد الخفية التي تتحكم في ديمقراطيات أمريكا وأوربا ، وانتفضت أمريكا من غبار القهر والهوان ،

وجاءت بالسيد أوباما خلفا للمغلوب على أمره السيد بوش لإنقاذ ما يمكن إنقاذه في أمريكا وأوربا ، وأدرك أن الديمقراطيات الغربية تحتاج في مواجهتها للصهيونية إلى دعم عربي وإسلامي ، وقد يكون في ذلك بعض ما يفسر دعمه الفوري لثورات الربيع العربي ،و مد حبال الصبر للسياسات الإيرانية آملا تجاوز الخلافات السنية الشيعية ، وأرسل رسالة للسيد عمر البشير : بأن يستعين بسودانيين أذكياء ! ورد السيد البشير بأن كل السودانيين أذكياء ! وهكذا ضاع صدى صيحة السيد أوباما في أودية المسلمين والعرب ، وأفاق اليهود من غفوتهم فدفعوا بقدراتهم وقوتهم ضد السيد أوباما ودولته ودول الربيع العربي والعراق وسوريا والمنطقة العربية وأوربا والعالم ، فعمت الفوضى والخراب والدمار كثير من دول وبقاع العالم ، وتشير سياسات السيد أوباما ورسالته للسيد عمر البشير بأنه قد وجد أن سلاح الصراع على هذا المستوى هو عبقرية العباقرة ، وما زالت لليهود اليد الأطول في ذلك ، ولكن ، ظهر أيضا أنه ليس لهم صديق في السر ، وقل أن يكون لهم عدو في العلن ، وسوف يؤكد المستقبل القريب إذا ما كان السيد أوباما قد صاغ اتفاقه النووي مع إيران ليتزامن مع صحوة ووحد المسلمين التي طال انتظارها؟

حقق السيد شارون ما يريد من انتقام من السيد صدام ودمار لدولة العراق وما ترتب على ذلك من انهيار لما تبقى من الأمن القومي العربي ، وذلك على حساب بعض من كرامة وسمعة أمريكا والسيد بوش .

تمكن اليهود من تسخير المعلومات والقدرات والخبرات المتوارثة والمكتسبة والمتطورة أبدا .. لتجاوز خلافاتهم وخدمة مصالحهم وتحقيق أهدافهم وإرهاب أعدائهم والسيطرة على حلفائهم وزرع الفتن والنزاعات بين خصومهم .. ، وابتكروا من الأساليب والوسائل ما مكنهم من تحقيق كل ذلك ، ومن علامات نجاحهم استغلالهم لحلفائهم وخصومهم لدعمهم سياسيا وعسكريا وماليا لتأسيس وطن قومي عدواني دائم التمدد .. ، و مساهمتهم المشهودة في المجالات العلمية ، وظهور شخصيات بقدرات وانجازات غير

مسبوقة مثل البرت أنشتاين والفرد نوبل وفرويد .. ، مما قد يعني أنهم قد خلصوا في وقت مبكر إلى الأهمية المتزايدة للمعرفة والمعلومات كقوة حاسمة في تقرير مصائر الشعوب ، وأن وضع السياسات والخطط والمشاريع وتصميمها وتنفيذها وقيادة الجماعات والقطعان البشرية والتحكم فيها يعتمد على مستوى الاستخدام الأمثل للعباقرة من أصحاب العقليات والقدرات المميزة ووسائل وآليات اكتشافهم ورعايتهم وصقل وتطور مواهبهم وقدراتهم ، وما يسبق ذلك ويتبعه من اختيار لأنسب الأنظمة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتعليمية التي تتكامل لتنفيذ المشاريع وتحقيق الأهداف ، واستقطاب أو إزالة وتعطيل أو تحييد أصحاب العقليات المميزة عند الآخرين ، وهو على عكس ما تقوم به المجتمعات وأنظمة الحكم العربية والإسلامية .

ليست هذه دعوة للانهزام والاستسلام بقدر ما هي محاولة لتشخيص الواقع ومحاولة استنباط الوسائل التي تتناسب معه ، ومن ذلك : أن الديمقراطيات الغربية بقيادة أمريكا عاجزة عن مقاومة الفساد والعلو اليهودي منفردة ، وأن آلاف السنين من الصراعات والعزلة والقهر والاضطهاد .. للأقليات اليهودية ، المتمسكة بديانتها المحرفة والمنسوخة ، قد وفرت لهم الدوافع والحوافز الدائمة لقوة العزيمة والصبر والمقاومة والتضحية وشحذ الهمم ورفع قدراتهم العقلية والعلمية والتنظيمية .. لأعلى مستوى مقدور عليه .

بدأ الجميع في دفع الثمن المر للفساد اليهودي المدعوم بعلوهم الكبير ، وعما قليل سيعجز العالم عن تحمل تبعات هذا المسار الخطير الذي يوفر الحاضنة المثالية لإعادة الحياة للأفكار والفلسفات العنصرية المتطرفة التي انهزمت ، وقد يظن بعض المسلمين بأنهم الأقدر على تنفيذ الحل الهتلري النهائي للمسألة اليهودية بعد رجوعهم إلى إسلامهم الحقيقي ونظام الحكم فيه ، ولكن هؤلاء نسوا، أو تناسوا ، بأن في رجعوهم لإسلامهم الحقيقي خير وبركة ورحمة للجميع ،

وليس اليهود بمعزل عن ذلك ، ويعلم المسلمون بتحذير الله سبحانه وتعالى لليهود في القرآن بالخط الأحمر : ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾ [الإسراء:8] ، وهو تحذير دائم لا يسقط بالتقادم !! ، كما يعلمون بما جاء عن الأرض المقدسة : ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الأنبياء] ، فهل يشير هذا النص إلى أن الأرض المقدسة ملك عين للعالمين وهم كل الناس ؟ وعلى ذلك هل تكون حقوق الفلسطينيين واليهود في الأرض المقدسة التي يتقاتلون فيها وعليها هي حقوق منفعة فقط يتحكم فيها ويقررها المجتمع الإنساني – صاحب ملك العين – بما يخدم مصالحه ؟ وقد يكون من ذلك ، أو بعض منه : اختيارها كمقر ومركز لإدارة وأبحاث ودراسات تطوير حياة الإنسان على الأرض وأنظمة الحكم ، وفض نزاعات البشر وإصلاح ذات بينهم ، ويصاحب ذلك إصلاح ديني وسياسي واجتماعي واقتصادي .. في دول الشرق الأوسط ، وخلق الظروف المناسبة لفتح حدود فلسطين التاريخية لعودة الفلسطينيين كما هي مفتوحة لليهود ، وفتح حدود الدول العربية لتوطين من يشاء من الفلسطينيين واليهود.

يمتاز فساد اليهود الثاني بتوتبلطه بعلوهم الكبير وأنه ضد الآخرين ، وشمل هذا العلو المجالات العلمية والصناعية والمالية والثقافية والسياسية والعسكرية ... ، مما جعلهم من أميز شعوب العالم ، وسيظل فساد اليهود وعلوهم الكبير يشكل خطرا وتهديدا لأنفسهم وللعرب والمسلمين وكثير من دول العالم،و بعد فشل الحلول المتطرفة كالحل النهائي لهتلر والاستسلام شبه الكامل لهم كما يحدث الآن، يحتاج علماء وعقلاء العالم لبحث ودراسة وسائل وأسباب فسادهم في الأرض وعلوهم الكبير لمعالجة الفساد وأسبابه وإعادة توجيه علوهم الكبير .

أخيرا سقطت ورقة التوت عن العرب والمسلمين بتفشي ممارسات البغي والقهر والاستبداد الحكومي والشعبي ، والفشل في تحقيق الإطعام من الجوع والأمن من الخوف ، وتخلف وضعف المسلمين المهين وتكالب الأمم عليهم ،

وأن قصب السبق في تصنيف مستوى الفساد والفشل في العالم تحرزه الشعوب وأنظمة الحكم بمسميات إسلامية ، وتزعموا الإرهاب والتخريب والتدمير في العالم ، وبأسهم بينهم شديد . . .

ظهر بعد ثورات الربيع العربي جهل العرب بالدين والسياسة ،و فشلت الشعارات باسم الإسلام و الاعتدال والوسطية . . ، وأن الديمُقراطية لا تحمل عصى موسى ، بل أثارت مخاوف شعوبها والآخرين .

سعى بن لادن في أحداث سبتمبر لمعاقبة أمريكا بأسهل الوسائل مثل ما سعت بعض دول الغربية للنصر بأسهل الوسائل في الحربين العالميتين بوعد اليهود بفلسطين في الحرب الأولى وقبض الثمن في الحرب الثانية ، ومعالجة المسألة أو المشكلة اليهودية بأسهل الوسائل : بإبادتهم بعد الحرب العالمية الأولى والتخلص منهم بعد الحرب العالمية الثانية بمنحهم فلسطين ، وبأسهل الوسائل سعى صدام لكسب الشارع العربي بإعلانه جائزة 25 ألف دولار لمن يفجر نفسه لقتل اليهود ، ولكن إسرائيل لم تختار أسهل الوسائل لمعاقبة صدام وأهل بيته وحزبه فقط ولكنها دمرت العراق وسورية ، وشاركت أنظمة الحكم العربية في إجهاض ثورات الربيع العربي ، وما نتج عن ذلك من فتن طائفية وتهجير وتطرف وهلاك للعباد ودمار للأوطان ، وامتدت الفوضى والنيران لأوربا وأمريكا وقد تنتشر في دول أخرى من العالم، وبذلك بلغت الحضارة الغربية منعطفا يصعب عليها تجاوزه منفردة بوسائلها وقدراتها الحالية .

أصبحت نسبة ما يتحقق من الأمن من الخوف والإطعام من الجوع .. للأفراد والدول تتأثر وبوتيرة متزايدة بما يتحقق من ذلك للأفراد والدول والجماعات الإنسانية الأخرى ، وبذلك تجاوزت الإنسانية مرحلة صلاحية العنف والعنف المضاد كوسيلة لعلاج مشاكل الخلاف والتنازع بين الأفراد والجماعات والدول

، ويشير ذلك إلى أن مستوى الالتزام العلمي في تصميم أنظمة الحكم ومستوى السلطة الحقيقية بيد الجماعات والشعوب لم يعد كافيا للتعامل مع ما تحقق للأفراد والشعوب والجماعات من قدرات بعد ثورات الاتصال والمعلومات والربيع العربي والقوى المناهضة له.

ما نخلص إليه عن حاضر المسيرة البشرية :قد يتناسب المستوى العالي للفساد في الأرض في هذا العصر ، مع مستوى انحراف وخروج المسلمين عن مكونات رسالة الإسلام الخاتمة، وفساد وانحراف على هذا المستوى لا يمكن معالجته إلا بوسائل على نفس المستوى ، وقد لا تتجاوز الفترة الانتقالية المأمونة لتجاوز هذه الظروف الحرجة عقدين أو ثلاثة ، كمرحلة إعداد وتأهيل للبشر للانتقال للمراحل التالية في المسيرة البشرية ، والله لطيف لما يشاء .

مع النهضة الأوربية أشرق صباح العلم والتعلم النظامي على حياة البشرية ، وسار في طرق التطور والانتشار ، وتبع ذلك تطور وتغيير في كل مجالات الحياة الأخرى في معظم بقاع العالم بما فيها المجتمعات والدول الإسلامية ، وكان على بعض العلماء والمفكرين المسلمين من أصحاب القدرات المميزة الاستفادة من هذا التطور غير المسبوق والمتنامي وما ينجم عنه من ارتفاع متجدد ومطرد في إمكانات وقدرات الإنسان ، وكان عليهم السعي العلمي المنظم للاستفادة مما توفر من علوم ووسائل وخبرات .. لرفع مستوى الارتباط بين العلم والتعلم والدين والتدين والطاعة المطلوبة بالاستطاعة المتوفرة والمتجددة ، وما زال الانقسام على أشده بين السنة المتسكين بنظام حكم الانقلاب الأموي وشيعة الإمام على كرم الله وجهه وآل بيته ، وحتى على المستوى الشعبي نجد ممن يتولون بعض أمور المسلمين من يجد الوسائل التي تمكنه من أن يستبد برأيه ويصر على استعمال البوصلة لتحديد اتجاه القبلة ، والاستعمال غير الراشد لمكبرات الصوت القوية في أماكن وضعها واتجاهها وارتفاعها على الرغم مما تأكد من

تسببها لأضرار وأمراض على الحواس والقلب ..،و كان لذلك انعكاساته السلبية على الدين والتدين والإطعام من الجوع والأمن من الخوف والعلم والتعلم في كل المجتمعات والدول الإسلامية ،و في العقود الأخيرة تطورت هذه السلبيات لتصبح خطرا على المسلمين وعلى غيرهم وعلى المسيرة البشرية والمشروع الإنساني ، وبذلك فقدت الدكتاتورية الكاملة ، بساقيها وقدميها ، القدرة على الاستمرار كما سبقتها إلى نفس المصير الدكتاتورية العرجاء ونظام الحكم الإسلامي الأعرج في فترة الخلافة الراشدة ، مما يشير إلى أن تقويم المسار لمستقبل المسلمين والعالم والمسيرة البشرية يحتاج لنظام حكم إسلامي كامل ، يتأسس ويرتكز على سيقان وأقدام إسلامية سليمة ومعافاة .

مستقبل المسيرة البشرية :

بعد الحرب العالمية الثانية وقيام دولة إسرائيل انتقل التطرف والحروب من أوربا إلى المنطقة العربية ، وظهرت التناقضات بين إسرائيل التي لا تضمن وجودها إلا بضعف وتخلف وفساد العرب ودعوة الدول الغربية والأمم المتحدة للتحرر والتطور والتكامل لكل شعوب العالم ، ولو لا قوة اليهود وأياديهم الظاهرة والخفية لكان في مقدور الأمم المتحدة ، بقيادة الدول الغربية ، محاولة إلزام أنظمة الحكم في دول العالم بمعايير أمنية وسياسية واجتماعية وعدلية وتعليمية ... مثلها وحقوق الإنسان ، وأن تصنف كل اعتداء على الأفراد والأقليات والجماعات الإنسانية من قبل جماعات أو أنظمة حكم داخلية أو خارجية ، هو اعتداء على الناس جميعا وفسادا في الأرض ، وأن يتوج ذلك بمحكمة الجنايات الدولية ، وبذلك كان من الممكن منع صدام من تقديم حوافزه لقتل اليهود كما تم إجباره على الخروج من الكويت ، وقبل ذلك ، كان من الممكن إلزام إسرائيل بحدود تقسيم 1947م ووضع الحلول المؤقتة للتعايش السلمي بين اليهود والعرب والمسلمين لحين تجاوز البشرية لآفات الجهل والفقر والعنصرية .. ،

والانتقال للتعايش السلمي الشامل لكل البشر .

و عن مستقبل المسيرة البشرية تخبرنا آيات سورة الإسراء في مخاطبتها لليهود ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾ ﴾ [الإسراء] ، تشير الآية (7) إلى دخول المسلمين الثاني الأرض المقدسة ، وكان دخولهم الأول سلمياً ومقبولا وليس عدواناً ، ويراعي مصالح الناس أجمعين وكذلك سيكون دخولهم الثاني ، ولكنهم سيتبروا ما علو تتبيرا ، وهذا يعنى أن المسلمين في دخولهم الثاني لبيت المقدس يحطمون بناء عاليا مميزا ، وهو ما ينطبق على الجدار الفاصل، وقد تشير « ليسؤوا وجوهكم » إلى أن عقوبتهم ستكون ضربة وجه ، وليس الإبادة كما يظن ويتمنى بعض المسلمين .

بعد أن كان اليهود شعب الله المختار وخصهم في فترة من الفترات بالأرض التي بارك فيها للعالمين ستصبح كل الأرض موعودة بأن تتزخرف وتتزين للبشر أجمعين في المراحل التالية من المسيرة البشرية كما جاء في الآية (24) يونس ، ويبدو أن مرحلة الزخرف والزينة الشاملة على مستوى الكوكب تسبقها ثورة المعلومات والاتصالات الجارية والتي ستؤدي إلى تطور وسائل وآليات جمع وتراكم المعارف والعلوم وتطبيقاتها ونشرها، كما يمكن أن ترتفع مستويات الخلافات والنزاعات والصراعات بين الجماعات والدول حول الأرض والمياه و الموارد والبيئة والتلوث .. لمراحل يصعب على الجميع تحملها ، مما يجبرهم على التفكر واستنباط المعالجات على المستوى العالمي لمصلحة البشر أجمعين ، وأن تتطور أنظمة الحكم في العالم وتتحول الأمم المتحدة ومنظماتها إلى ما يشبه الحكومة والإدارة العالمية ، وليعم السلام والتكامل بدل القطيعة والنزاعات والحرب، ويرافق ذلك القضاء على جهل وفساد المسلمين ، وفساد اليهود الثاني ،

وتوزيع أسباب وآليات علوهم الكبير بين من يحتاجونه من سكان الأرض ، خاصة الدول العربية والإسلامية ، مما يعنى فتح الحدود وحرية التنقل والإقامة ، وبذلك يزول للأبد خطر فساد وعلو اليهود وسلبيات الحلول المتطرفة والمجرمة كحل الإبادة الهتلري ووطن قومي عنصري على أرض فلسطين، وتنتقل المسيرة البشرية إلى مراحلها التالية، وقد يمكن استنباط نظريات ومعادلات رياضية ورسوم بيانية لتقدير الزمن الذي تحتاجه البشرية للوصول لمرحة زخرفة وزينة الأرض ، وجزافيا قد لا تتعدى المدة الزمنية الآمنة نسبيا للبشرية بضعة عقود لتجهيز إعدادات الانتقال للمراحل التالية في المسيرة البشرية ، وكبداية ، وكجزاء للمسلمين على تخاذلهم وفشلهم في القيام الراشد بأمر الرسالة الخاتمة والمسيرة البشرية ، وتعويضا لمعاناة اليهود الناجمة عن ذلك ، ولمصلحة كل الأطراف والمسيرة البشرية : قد يكون من الأفضل أن يوافق المسلمون والعرب على وجود دولة إسرائيل حسب خارطة تقسيم الأمم المتحدة لفلسطين عام 1947م ، ومن ثم الانتقال للإصلاحات الإقليمية والعالمية الكبرى .

في المستقبل القريب سيجد رفع مستوى ارتباط العلم والتعلم مع الدين والتدين عند المسلمين ما يليق به من اهتمام ، ويوفر القرآن المعلومات عن المراحل التالية للمسيرة البشرية ، وعلى ذلك يمكننا تصميم نظام حكم إسلامي صالح وراشد على أعلى مستوى علمي مقدور عليه ، بساقين وقدمين صحيحتين ، يمكنه قيادة مسيرة إصلاح عالمي لتجاوز الظروف الصعبة التي تمر بها البشرية والانتقال لمراحل مسيرتها التالية .

نظام
الحكم
الأصلح

الباب السادس

تصميم نظام الحكم الأصلح

بعد الهجمة المضادة لمشروع ثورات الربيع العربي والفتن وهلاك العباد وخراب الديار .. ، وظهور السنة المنادين بدولة الخلافة والدولة الإسلامية والقاعدة و.. والشيعة المطالبين بثارات الحسين والقصاص لآل البيت من أحفاد معاوية ومن والاهم أو من سكت عنهم ، ومع كل ذلك ، أو بسببه ، قد يجد الباحث المزيد من الدوافع والمزيد من العينات للتشريح والتشخيص والمقارنة، ولكنه أيضا سيجد المزيد من العقبات والمخاطر التي قد ترتفع لمستوى محاولات تقويم ما لا يستقيم .

من أهم أسس ومقومات المشرع الإنساني وخلافة الإنسان في الأرض هي حرية وإرادة وكرامة الإنسان مع الالتزام بقواعد القانون والنظام ، ولكن ظهر بعد ثورات الربيع العربي أن إطلاق الحريات بلا هدف وضوابط وقوانين ونظام قد يؤدي إلى فوضى يصعب التحكم فيها.

يفترض أن يخضع نظام الحكم في الإسلام لما بعد فترة الرسول محمد ﷺ للأساس والتأسيس العلمي للرسالة الخاتمة ، والأساس والتأسيس العلمي لنظام الحكم الوارد فيها ، وللارتباط المتحرك بين مستوى الدين والتدين مع مستوى العلم والتعلم ، ومستوى الاستطاعة المتوفرة مع الطاعة المطلوبة ، وأن يتكامل مع كل مكونات الرسالة الأخرى ، وبما أن هذه المحددات مرتبطة بالمستوى العلمي والمدني والحضاري الذي تحققه البشرية ، والتي هي في حالة تحول وتطور دائمة ، لذلك يفترض في تصميم نظام الحكم الإسلامي أن يكون في حالة تحديث وتطور دائمة ، حتى يبلغ مستوى تطوره وتقدمه ورشده وصلاحيته .. في هذا العصر ما بلغته أحدث وأرقى الأبحاث والدراسات وأكثرها تقدما وصلاحية وكفاءة .. في تصاميمها وتنفيذها وتسييرها ومراقبتها وتطويرها .. .

مما يتوفر لنا في القرآن الكريم من حقائق ومعلومات عن المشروع الإنساني والإنسان والمسيرة البشرية .. يمكننا القول بأن نظام الحكم الإسلامي لا يستبعد كل الوسائل اللازمة لدفع الناس بعضهم لبعض لتحقيق الإصلاح في الأرض ولتجنب الفساد فيها ، ومن أهم هذه الوسائل نظام الحكم الصالح والراشد ، وعلى قاعدة أمر المؤمنين شورى بينهم ، والأمر في هذه الحالة هو محاولة وضع نظام حكم إسلامي صالح وراشد وذلك بعد أكثر من ألف عام على نزول الرسالة الخاتمة ، وما تراكم للإنسانية خلال هذه الفترة من علوم وتجارب وخبرات ، أصبح في مقدور العلماء والمفكرين تصميم نظام حكم إسلامي يتناسب مع قدرات هذا العصر لتلبية حاجات إنسان هذا العصر .

تحتاج محاولة وضع تصاميم مفصلة لنظام الحكم الإسلامي الحقيقي لأعلى مستوى مقدور عليه في العلوم الدينية و السياسة والقوانين والاقتصاد والرياضيات والإحصاء والهندسة .. ، والإدارة والتنظيم .. وغيرها ، وبما أن كل هذه المكونات متغيرات بعجلات متسارعة ، ويترتب على ذلك تغيير مناظر في تصاميم نظام الحكم ،لذلك، ولغيره ، يتعدى هذا الهدف قدرات الأفراد لتحقيقه، ويحتاج لتضافر وتكامل جهود متواصلة ومقتدرة ومنظمة في مجمعات أو مدن لمراكز بحث في كل المجالات ،و هو ما يفترض أن توفره أنظمة الحكم الإسلامية الحقيقية ، بل قد يكون من أهم مكونات هذه الأنظمة ، ولكنه اليوم يتعارض مع سياسات ومصالح أنظمة الحكم بالمسميات الإسلامية الناجمة عن الانقلاب الأموي والمعارضة له ، وتشبه هذه الحالة إشكالية البيضة والدجاجة القديمة والمتجددة ، ومع ذلك علينا بذل الجهد في محاولة لتوظيف ما نستطيع مما جاء في الرسالة الخاتمة من معلومات ووسائل ، وما توفر من علوم وخبرات إنسانية وتطور لرسم خارطة طريق لوضع تصاميم نظام الحكم الإسلامي الحقيقي في هذا

العصر ، من منطلق وعلى أساسات أمرهم شورى بينهم والتعامل في حالات الخلاف والتنازع ، وما يتبع ذلك ويلزمه من حريات تعبير ونشر وتنظيم وحوار .

يمكن القول بأن كل كتاباتنا المطبوعة : الرحى والردى ، مستقبل البشرية رؤية إسلامية ، الحزب الإنساني ونظام الحكم في دول الربيع العربي الإسلامي ، وهذه المقدمة عن نظام الحكم الأصلح ، عبارة عن نتاج للفكر والتفكر في محاولة للتأسيس لتصميم نظام الحكم في الإسلام، والفكر والتفكر الاختياري الحر يختلف في بعض جوانبه عن البحث العلمي المنظم ، فهو مجهود فردي أو شبه فردي، وقد نصح القرآن الناس باستعماله لقبول أو رفض بعض مما جاء فيه من حقائق ومعلومات غيبية، وقد يكون الأنجع لتحديد المواقف في حالات المسائل الخلافية الشائكة ،ومع أنه قد يحتاج إلى بعض المعلومات الأساسية ، إلا أنه قد لا يعتمد على المراجع والتفاصيل المتداولة ..لندرتها وعدم غناها في مثل تلك الحالات ، وقد يكون من الأفضل حصر هذا الأسلوب في مجالات ونقاط محددة لأنه يحتاج للكثير من جهد وزمن السالكين لهذا السبيل ، وملكات وقدرات استثنائية من المتلقين ، وعندما يتسع الموضوع وتتعدد جوانبه وتتشعب، ينجم عن ذلك المزيد من العيوب والسلبيات في الطرح والكتابة مثل التكرار وتشتت بعض أجزاء المسائل في أماكن متفرقة .. وغير ذلك مما يضعف من مستوى الجودة والإتقان والصياغة ويزيد من التعقيد وأسباب النقد والرفض.

قد يكون من الأفضل فتح أبواب المشاركة للآخرين لمراجعة هذا المجهود وسد الثغرات فيه وتجويده ، وبعد ذلك الدخول في مراحل البحث العلمي المنظم والدراسة والحوار ووضع التصاميم المفصلة لنظام الحكم في الإسلام في هذا العصر ثم عرضه على مستوى أمرهم شورى بينهم ، وقد يكون السودان بطبائع وخصائص أهله المتفردة، مع قدراتهم العلمية والمادية والفنية المتواضعة يوفر

قدر من الحريات والفرص ، مع نظام حكمه الإسلامي الأموي ،للتفكر والعرض والنشر والحوار السري والعلني على مستوى أمرهم شورى بينهم ، ويمكن أن يرافق ذلك ، كتطبيق عملي نموذجي ، محاولات تصميم نظام إدارة وحكم إسلامي حقيقي كاملو مفصل للسودان ، يتأسس على الحرية ورد الأمر في حالات التنازع لله وللرسول ، وأعلى مستوى علمي مقدور عليه ، وسلطة حقيقية كاملة بيد المواطنين.

الخاتمة

قد لا يجد بعض ممن يبحثون عن نظام الحكم الإسلامي فيما تقدم الإضافات والتفاصيل التي كانوا يرجونها ، وقد يجد بدلا عن ذلك المزيد من الإطالة والتعقيد ، ولكن يمكننا القول بأن محاولات البحث في نظام الحكم الحقيقي في الإسلام عن طريق الفكر والتفكر والقرآن مرجعية أساسية يفتح الأبواب لمعرفة مكونات رسالة الإسلام الخاتمة ، ولماذا وكيف أصبحت خاتمة ، ولإعادة النظر في التاريخ الإسلامي ، وجذور الخلافات والنزاعات والحروب الطائفية ، وتوظيف كل ذلك لوضع أساسات لوحدة المسلمين والتعامل الإيجابي مع خلافاتهم ونزاعاتهم البينية ، مما يوفر المعالجات لتجاوز الظروف العصيبة التي تمر بها الدول والطوائف الجماعات الإسلامية والبشرية جمعا ، ويفتح الأبواب للانتقال لمراحل أن تأخذ الأرض زخرفها وتتزين.

يوجد نظام حكم إسلامي واضح المعالم لفترة الرسول محمد صلى اله عليه وسلم ، ويوجد نظام حكم إسلامي واضح المعالم لما بعد فترة الرسول محمد ﷺ، وهو الأصلح والأرشد إذا ما تأسس على مكوناته الحقيقية، ويفترض فيه أن يكون من أهم أسس ومقومات ومكونات أنظمة حياة المجتمعات الإسلامية ووحدتها ، قد يكون الأفسد والأفشل والأخطر إذا كان منحرفا أو منقوصا، ويفترض في تصميم نظام الحكم الأصلح عند المسلمين حاليا أن يقود مساره وتطوره الطبيعي إلى نظام الحكم في مرحلة أن تأخذ الأرض زخرفها وتتزين .

قد يكون من أهم أركان ومكونات نظام الحكم في الإسلام : جانب التعامل مع الخلاف والتنازع ، والذي يصلح في هذا العصر لمعالجة كل أشكال ومستويات

الخلافات والنزاعات بين المسلمين ومع غيرهم .

و عن قوة إلزام المسلمين بكل تفاصيل مكونات نظام الحكم الواردة في رسالة الإسلام الخاتمة ورد الأمر لله والرسول في حالات التنازع، يمكن القول بأنها قد تشكل تهديد للمؤمنين بالرسالة الخاتمة بالخروج من الدائرة العامة للذين يؤمنون بالله واليوم الآخر من كل الديانات ، وبذلك قد يرتفع فوق كل مستويات الإلزام الواردة في الرسالة الخاتمة .

و قد يمكننا القول بأن مستوى انتساب نظام الحكم للإسلام يتناسب طردا مع مستوى طاعة الله وطاعة الرسول والالتزام العلمي في تصميمه وتنفيذه ، ومع مستوى الحرية والسلطة الحقيقية بيد الجماعة أو الشعب ، وانعكاس ذلك على مستوى محاربة الفساد والتعامل مع الخلاف والتنازع واستخدام الموارد والزمن ، وما يتحقق من إطعام من جوع وأمن من خوف وتقدم علمي وتمهيد للانتقال للمراحل التالية من المسيرة البشرية .. ، وهذه العوامل مما يمكن دراستها وتحليلها رياضيا وإحصائيا وعمل نماذج ورسوم بيانية لها .

و عن المسار التاريخي لتطبيق نظام الحكم الإسلامي:

فترة الرسول محمد ﷺ الاستثنائية :تم فيها التأسيس للجماعة والدولة ونظام الحكم الراشد .

فترة الخلافة الراشدة ، وهي محاولة للاستمرار في فترة الرسول محمد ﷺ ، غير القابلة للاستمرار ولا التكرار ، وبلا رسول ولا وحي ولا تدخل إلهي .

فترة الانقلاب الأموي وما ترتب عليها ، وأصبح استمرارها يشكل خطرا على المسلمين والعالم أجمع .

توفرت لأنظمة الحكم بمسميات إسلامية وللأفراد في هذا العصر قدرات وآليات غير مسبوقة، وهي في طريقها للمزيد من الإضافات والتطور ، مما يزيد من أهمية محاولات البحث والدراسة لمكونات رسالة الإسلام الخاتمة ، بقدرات هذا الزمان لتلبية حاجات إنسان هذا الزمان، وينجم عن ذلك نظام إسلامي للحكم هو الأصلح والأرشد من كل ما سواه ، وكما قال الشاعر :

و لم أرى في الناس عيبا كنقص القادرين على التمام

و خير منه قول الله تعالى :

﴿قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ﴾ [البقرة:61].

ما نخلص إليه : أن جهل المسلمين بمكونات رسالة الإسلام الخاتمة ، وخاصة نظام الحكم فيها ، هو السبب المحوري للدكتاتوريات والفوضى والفساد .. وما نجم عنها من تطرف وإرهاب وهلاك للعباد وخراب للديار في بلاد المسلمين ، وقد كان في ذلك ما يخدم سياسات ومصالح جماعات ودول أخرى ، فنال رضاهم وسكتوا عليه ، ومنهم من يصب الزيت على النار ، ولكن بعد انتقاله لآخرين ،و هو في طريقه للمزيد من التطور والانتشار لما قد يصبح تهديدا للكثير من مجتمعات ودول العالم ، عندها سيبحث العقلاء من المسلمين وغيرهم عن الأسباب والمعالجات ، والتي سيجدونها في رجوع المسلمين للمكونات الحقيقية لرسالة الإسلام الخاتمة ونظام الحكم فيها ، وبذلك قد يمكن تجاوز حالة المخاض الصعبة التي تمر بها البشرية والإعداد للانتقال للمراحل التالية في مسيرتها، وقد لا يمكن تحقيق ذلك إلا بقدر كاف من الحريات ومراكز بحث ودراسات مؤهلة ومقتدرة ، ومن الأفضل والأكرم أن يتم ذلك داخل بلاد المسلمين على الرغم من الجهل والفساد والفوضى .

و هذا المجهود هو محاولات على المستوى الفردي للقيام لله والتفكر في موضوع خلافي وحساس ، وقد يكون من الأفضل حصر الإطلاع عليه على بعض الخواص في هذه المرحلة ، على الرغم من أننا قد ننشره فضائيا.

و : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ ﴾ [البقرة] .

و السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

كمال يوسف جميل

10/ 10/ 2017م

الفهرس

المقدمة 4
الباب الأول : المشروع الإنساني..... 8
الباب الثاني : ختم الرسالات السماوية..... 39
الباب الثالث : نظام الحكم في الإسلام..... 54
الباب الرابع : الخلافة الراشدة..... 76
الباب الخامس : الإطار 88
الباب السادس : تصميم نظام الحكم الأصلح..... 112
الخاتمة :..... 118
الفهرس..... 122